23

مصابيح العلم

نَشْرَةٌ دَعَوِيَّةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاث والمَخْطُوط والسِّيَر والتَّارِيخ/ العدد الثَّالث والعشرون/ المحرَّم ـ صفر ـ ربيع الأوَّل 1448هـ

- في مَجْلِسِ حُجَّاج/
الشَّيخ محمَّد السَّعيد الزَّاهري
- بِدْعَةُ خَطِيبِ السَّارِيَة بِمدينة بَلِّشْ/
أبو عبد الله السَّرَقُسْطِي ـ مُفْتِي غَرْنَاطَة
- اعتراف الأئمَّة مِنَ العُلَمَاء
بِفَضْل شَيْخ الإسلام ابْنِ تَيْمِيَّة/
الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّزَّاق حمزة
- فَضْل تَعَلُّم الكَبِير/
جمال الدِّين القاسمي
- القصيدة الشَّاهِيَّة/
محمَّد المبارك الجزائري ـ نزيل دمشق
- مَعْرَكَةُ «خَنْق النِّطَاحْ» ـ 1832م

الفَهرِسُ

خُطْبَة الحَاجَة	
الافتتاحيَّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾	4
العقيدةُ والتَّوحيد: فِي مَجْلِسِ حُجَّاج/ محمَّد السَّعيد الزَّاهِري	6
الفتاوى: بِدْعَةُ خَطِيبِ السَّارِيَة بِمدينة بَلَّشْ [مِن بلاد الأندلس] / السَّرَقُسْطِي ـ ابن فتوح ـ البقني	16
وَصَايَا ومَوَاعِظ: فَضْلُ تعلُّم الكَبِير/ جمال الدِّين القاسمي	20
أَخْبَارٌ وتَرَاجِم: ■ ردٌّ على نَقْد [ردٌّ على الكَوْثَرِي] / بقلم الشَّيخ محمَّد نَصِيف ■ اعتراف الأئمَّة مِنَ العُلَمَاء بِفَضْل شَيْخ الإسلام ابْنِ تَيْمِيَّة/ بقلم الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّزَّاق حمزة	22
أدب الرَّسَائِل: رِسَالَتَان من الشَّيخ محمَّد نَصِيف إلى الشَّيخ عَبْد الرَّحمن خليفة (في الدِّفاع عن شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة)	29
بحوثٌ حديثيَّةٌ فقهيَّة: النُّكَتُ على كتاب «أحكام الجنائز» (4)	35
مُخْتَاراتٌ:	38
تراثٌ مخطوطٌ: طُرَّةٌ فيها ذِكْرُ: وصيَّة أبي حامد الغزالي لتلميذه ابن العربي	40
أَشْعَارٌ وَقَصَائِد: القصيدة الشَّاهِيَّة/ محمَّد المبارك الجزائري ـ نزيل دمشق	42
تاريخٌ ومُدُن: مَعْرَكَةُ خَنْق النِّطَاح ـ 1832م	46

خُطْبَة الحَاجَة:

إنَّ الحمد لله نَحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَستَغْفِرُه، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفسِنا ومِن سَيِّئات أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلَا هَادِيَ له، وأَشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّساء:1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب: 70 -71].

أمَّا بعد: فإنَّ خيرَ الكلام كلام الله تعالى، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّد ﷺ، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحدثةٍ بِدعة، وكُلَّ بِدعةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضَلَالَةٍ في النَّار.

الافتتاحيَّة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾

- يَأْمُرُ الله تعالى عبادَه المؤمنين بِتَقْوَاه، وأن يعبدوه عبادةَ مَن كأنَّهُ يراه، وأن يقولوا قولًا سديدًا [تفسير ابن كثير (6/ 487)].

﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾:

1- قولوا حقًّا.

2ـ قولوا قولًا صادقًا.

3ـ قولوا قولًا صوابًا [تفسير القرطبي (14/ 252)].

4- قولوا قولًا مستقيمًا لا اعوجاجَ فيهِ ولا انحراف [تفسير ابن كثير (6/ 487)].

5 قولوا عَدْلًا [تفسير ابن أبي حاتم (17807)].

6ـ قولوا: لا إله إلَّا الله [تفسير ابن أبي حاتم (17809)].

7ـ القولُ السَّديد: التَّوحيد ....

8ـ والقول السَّديد: ما أُريد بهِ وجْهُ الله دون غيرِهِ [تفسير القرطبي (14/ 252)].

9 ـ هو الإصلاح بين المتشاجرين [تفسير القرطبي (14/ 252)].

10ـ هو حفظُ اللِّسان من الخَوْض فيما لا يجوز [تفسير الرسعني (6/ 203)].

القولُ السَّديد: يعمُّ الخيرات؛ فهوَ عامٌّ [تفسير القرطبي (14/ 252)]؛ يشملُ ما تقدَّم وغيرَ ذلك... قراءة القرآن، ذِكْر، أمر بمعروف، ونهي عن منكر، تعلُّم علمٍ وتعليمه، إِلَانَة الكلام واللُّطف في مخاطبة النَّاس، النُّصح والدَّلالة على الخير والصَّلاح.

- «ثمَّ وعد جَلَّ وعَزَّ بأنَّه يُجازي على القول السَّداد بإصلاح الأعمال وغفران الذُّنوب»؛ فقال: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾. «وحَسْبُكَ بذلك دَرَجَةً ورِفْعَةَ منزلة» [تفسير القرطبي (14/ 252)].

وعدهم بأنَّهُ يُصلِح لهم أعمالهم؛ أي: يوفِّقهم للأعمال الصَّالحة [تفسير ابن كثير (6/ 487)].

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾: يُوفِّقْكم لصالح الأعمال [تفسير مكِّي القيسي (9/ 5876)] ...

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾: يُزكِّ أعمالكم.

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾: يتقبَّلْ حسناتكم [تفسير البغوي (6/ 379)].

***

وقال رسول الله ﷺ: «**سَدِّدُوا**» [البخاري (6463) ومسلمٌ (2816)]؛ «أي: الْزَمُوا السَّدَاد، وهُوَ الصَّواب، بلا إفراطٍ ولا تفريط» [التَّيسير للمُناوي (1/ 568)].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا عليّ! سَلِ اللهَ الهُدَى والسَّداد**» [سنن النَّسائي (5210)].

وفي لفظٍ: «**قُلْ: اللَّهمَّ إنِّي أسألك الهُدَى والسَّداد**» [مسلم (2725)].

وفي لفظٍ: «**قُلْ: اللَّهمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، واذْكُر بالهُدَى هدايتَكَ الطَّريق، والسَّدادَ سدادَ السَّهْم**» [مسلمٌ (2725)] ـ أو قال: «**تَسْدِيدَكَ السَّهْم**» [سنن أبي داوود (4225)].

وعن عائشةَ رضي الله عنها؛ كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ هاتين الآيتين في الخُطبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:70 ـ 71] [رسالة «خطبة الحاجة» لمحمَّد ناصر الدِّين الألباني (رقم6)].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه؛ كان رسول الله ﷺ إذا خَطَبَ النَّاسَ أو عَلَّمَهُم لَا يَدَعُ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:70 ـ 71] [رسالة «خطبة الحاجة» لمحمَّد ناصر الدِّين الألباني (رقم7)].

في مَجْلِس حُجَّاج

للأستاذ الأديب محمَّد السَّعيد الزَّاهري[1]

«أخبرني وجيهٌ من الوجهاء في «صحراء وهران» وكان لي صديقًا حميمًا، قد رزقه الله بسطةً في الفهم والجسم، وآتاه سعةً من المال ـ أنَّه سافر إلى الأماكن المقدَّسة، فأدَّى فريضة الحجِّ فيمن حجَّ من الجزائريِّين هذا العام. فلمَّا قضوا مناسكهم ورجعوا إلى أهليهم، رجع هو منشرح الصَّدر، وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان، وجاءه النَّاس يُهنِّئونه ويُسلِّمون عليه، ويطلبون دعاءه الصَّالح، ويلتمسون منه البركة والخير.

قال: وسهر عندي كثيرٌ من النَّاس ذات ليلةٍ أحييتُها لهم بمناسبة مقدمي من الحجاز، وكان أكثرهم حجَّاجًا قدماء وجُدُدًا حجُّوا هذا العام. وطفقوا يتحدَّثون ويتسامرون، فقال أحد الحُجَّاج القدماء: ليس ينفع الإنسان شيءٌ كعمله الصَّالح. ففلانٌ هذا ـ وأشار إلى صاحب الدَّار ـ كان لا يساوي أن يقال له «سي فلان»، أمَّا اليوم وقد عمل صالحًا وحجَّ إلى البيت العتيق، فقد أصبح يقال له «سيدي الحاج فلان».

فردَّ عليه رجلٌ غير «حاج» من الحاضرين وقال: من حجَّ فإنَّما حجَّ لنفسه لا للنَّاس، فلا ينبغي أن نمدحه على ذلك، وما دمنا لا نقول للَّذي يحافظ على الصَّلوات: يا سيدي المصلِّي، فإنَّه ينبغي لنا أَنْ لَا نقول لمن حجَّ: «يا سيدي الحاج».

وأنا سمعت الشَّيخ عبد الحميد بن باديس عندما زارنا في الصَّيف الماضي رئيسًا لوفد «جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين» يقول لأصحابه ولتلامذته: لا تقولوا لي «يا سيدي الحاج عبد الحميد»، فتلك فريضةٌ مكتوبةٌ قد أدَّيناها ولا مزيَّة لنا فيها.

---

(1) جريدة «**الشَّريعة**» ـ قسنطينة، العدد (5)، الاثنين 22 ربيع الثَّاني سنة 1352هـ -الموافق 14 أوت سنة 1933م، (ص1ـ4).

فقال الحاج: أمَّا أنَّ الحاجَّ يحجُّ لنفسه فهذا حقٌّ، وأمَّا أنَّنا لا ينبغي لنا أن نقول للحاج «يا سيدي الحاج» كما لا نقول للمصلِّي «يا سيدي المصلِّي»، فهذا غير حقٍّ، بل الواجب أن نُثني على الحاج ونقول له «يا سيدي الحاج»، ونُثْني على المصلِّي، ونُشِيد بذكره، ونحترمه في غيبته ومشهده، كما أنَّ من الواجب أيضًا أن ننكر على تارك الصَّلاة، وننهاه عن المنكر ونأمره بالمعروف، وأيُّ منكرٍ أشنع من ترك الصَّلاة، وأيُّ معروفٍ أحسن من المحافظة على الصَّلوات. ينبغي أن نذكر التَّقيَّ الصَّالح بصلاحه وتقواه، عسى أن يقتدي به المسلمون، وأن نذكر الضَّالَّ الفاجر بضلاله وفجوره، حتَّى لا يغترَّ به النَّاس.

وأمَّا أنَّك سمعت الشَّيخ عبد الحميد بن باديس ينهى أصحابه أن ينادوه «يا سيدي الحاج»، فهو من تواضعه ومروءته وكمال أخلاقه، على أنَّنا سمعنا جميعًا الزَّاهري يذكر ـ أمام الشَّيخ بن باديس ـ حكاية تاجرٍ قد دهن دكَّانه بدُهْنٍ فاخر، وكتب فوق الباب اسمه وعنوانه بالحرف العريض. وما هي إلَّا أيَّامٌ حتَّى سافر حاجًّا مع الحجَّاج، فلمَّا رجع قام إلى هذا الدُّكَّان فدَهنه مرَّةً أخرى بدُهْنٍ فاخرٍ أفضل من الدُّهْن الأوَّل الَّذي لا يزال لامعًا مشرقًا بعد، لا لشيءٍ إلَّا أنَّه زاد في اسمه كلمة «الحاج»! وقد استعذب الزَّاهريُّ حكاية هذا الرَّجل، ووافقه على استحسانها الشَّيخ باديس.

وما دمنا لا نأمر بالمعروف، ولا ننهى عن المنكر، ولا نعمل الخير وندعو إليه، ولا نترك الشَّرَّ ونحذِّر منه، ولا نقول للمحقِّ أنت محقٌّ وللمبطل أنت مبطلٌ، وللمحسن أحسنتَ وللمسيء أسأتَ ـ فإنَّه لا يستقيم لنا أمرٌ ولا يصلح لنا حالٌ. على أنَّ الرَّجل قد يريد الحجَّ ليقال له «الحاج فلان»، فيكون ذلك له سبب التَّوبة والإنابة. وقديمًا قيل: «**طَلَبْنَا العِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ، فَأَبَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا لله**».

وانتقلوا في الحديث إلى من يحجُّ مرَّتين أو ثلاث مرَّات؛ هل يستحقُّ لقبًا أشرف من لقب «الحاج» الَّذي يُحرز عليه من يحجُّ مرَّة واحدةً؟

فاتَّفقوا على أنَّ لقب «الحاج» هو لقبٌ شريفٌ يستوي فيه من حجَّ مرَّةً واحدةً ومن حجَّ مرارًا عديدة. ولكنَّ رجلًا من الحاضرين فاجأهم بقوله: ماذا تقولون فيمن حجَّ الحجَّ الصَّغير؛ هل يجوز أن يقال له «يا سيدي الحاج»، كالَّذي يحجُّ الحجَّ الكبير، أم لا يحقُّ له أن يُحرز على هذا اللَّقب؟

فسأل سائلٌ: وما هو الحجُّ الصَّغير؟

قال: هو أن تحجَّ إلى قبرٍ من قبور الأولياء الصَّالحين، مثل قبر «سيدي أبي مدين الغَوْث» في تلمسان. قال السَّائل: وهل يحجُّ النَّاس إلى قبر «سيدي بومدين» هذا؟

قال: رأيت كثيرًا من حجَّاج تلمسان متى قدموا من الحجِّ ذهبوا تَوًّا من محطَّة القطار إلى ضريح «سيدي أبي مدين الغَوْث»، فظَلُّوا فيه نهارهم وباتوا فيه ليلتهم، ومضوا إلى ضريح «سيدي الدَّاودي» فزاروه وتبرَّكوا به. كلُّ ذلك قبل أن يدخلوا بيوتهم. ويعتقدون أنَّ هذا هو الحجُّ الأصغر.

فقال قائلٌ: ليس هذا هو الحجُّ الأصغر، بل هو من مناسك الحجِّ فقط، ولهذا فإنَّ الحاجَّ الَّذي يصل المحطَّة، فيذهب منها تَوًّا إلى داره، دون أن يزور ضريح «سيدي بومدين» ولا ضريح «سيدي الدَّاودي»، فإنَّ حجَّه صحيحٌ غير باطل، وله الحقُّ في أن يقال له «سيدي الحاج». وقد سألتُ أنا بعض العلماء عن هذه المسألة، فأجابني بهذا الجواب.

فتكلَّم أحد الحاضرين وقال: على كلِّ حالٍ فالحاجُّ الَّذي لا يزور «سيدي بومدين الغَوْث» هُوَ كَمَن أَخَلَّ ببعض المناسك والأركان.

وتكلَّم أحد الطُّرُقِيِّين فقال: رُوِي عن سيدي أبي مدين الغَوْث أنَّه قال: «مَنْ زَارَ قَبْرِي فَقَدْ حَجَّ الحَجَّ الصَّغير».

فأجابه طُرُقِيٌّ آخر من أتباع طريقةٍ أخرى وقال: شيخُنا «سيدي فلان» مؤسِّس طريقتنا هو الَّذي قال: مَنْ زَارَ ضَرِيحِي وزَاوِيَتِي فكَأَنَّمَا حَجَّ واعْتَمَر وزَارَ ضريح المصطفى ﷺ.

فجاوبه الطُّرُقِيُّ الأوَّل: بل هذه من خصائص شيخنا، نحن أتباع الطَّريقة الفلانيَّة قد اختصَّنا الله بها.

فجاوبه الطُّرُقِيُّ الثَّاني بقوله: كلَّا، هي من مناقب شيخنا نحن، وهي موجودةٌ في كتب الشَّيخ.

فقال الأوَّل: وأنا نفسي قرأتُها في كتب طريقتنا.

وهنا وقع بينهما تشادٌّ عنيفٌ وتنابزٌ بالألقاب، فكلُّ واحدٍ يزعم أنَّ زيارة شيخهم حيًّا أو ميِّتًا هي الَّتي تقوم مقام الحجِّ والعمرة وزيارة ضريح الرَّسول ﷺ. وكلُّ واحدٍ يزعم أنَّ شيخه هو الَّذي ضمن الجنَّة لأتباعه ومُرِيدِيهِ دون حسابٍ ولا عقاب، ويزعم أنَّ شيخه قال: مَنْ مَاتَ عَلَى مَحَبَّتِي وطَرِيقَتِي غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّر (!)، ولَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِثْلَ زَبَدِ البَحْر.

وكان بين الحاضرين طُرُقِيٌّ يَدَّعِي المعرفة والعلم قد هبط القرية «مُتَسَوِّلًا شَحَّاتًا» يجمع الصَّدقات

والنُّذور و«الزِّيارات»، وحضر هذا المجلس طَمَعًا في قبض الصَّدقات. فتداخل في الأمر وقال هو: إنَّ مَنْ زَارَ قَبْرًا مِنْ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِين كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ مَنْ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ فَقَطْ. وتجوز أن تكون زيارة قبر «الوليّ» بمثابة الحجِّ في الأجر والثَّواب، وذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء.

فردَّ عليه أحد الحاضرين وقال: يا فقيه! هذا قولٌ باطلٌ غير صحيح.

فظهرت على الفقيه كُلُّ عَلَائِمِ التَّأثُّر والانفعال، ثُمَّ قال: ولماذا؟

فقال الرَّجل: لو صَحَّ هذا القول لَزَارَ كُلُّ أهل بلدٍ قبور أوليائهم وصلحائهم، ولَتَرَكُوا الحجَّ بالمرَّة، والأولياء مهما كانت منزلتهم عند الله فلن يكونوا أفضل من رسول الله ﷺ، ولن يُسَاوُوهُ في الدَّرجة عند الله، فهو سيِّد ولد آدم، وأفضل المخلوقات على الإطلاق، ومحالٌ أن تكون زيارة الأولياء كزيارة ضريحه الشَّريف ﷺ، فَاتَّقِ اللهَ يا فقيه! ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم.

فقال له الفقيه: أنت وهَّابِي، أنت تَسُبُّ الأولياء.

فسأله الرَّجل: ما معنى «وهَّابي»؟ وَيْحَكَ يا فقيه! أما سمعتَ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحُجُرات:11]، أليس قولك لي «أنت وهَّابي» هُوَ من باب التَّنابز بالألقاب؟ أنا مسلمٌ قبل كُلِّ شيء وبعد كُلِّ شيء.

وأمَّا ما زعمتَه مِن أنِّي أَسُبُّ الأولياء، فهذا ـ يا فقيه! ـ مَحْضُ افتراءٍ منك عَلَيَّ. فأنا لم أَسُبَّكَ أنتَ، وأنتَ لست وَلِيًّا، فكيف تزعم أَنِّي أَسُبُّ الأولياء؟ حاشا لله أن أَسُبَّ أحدًا من النَّاس كائنًا من كان. ولكنَّك أنت ـ يا فقيه! ـ تعتبرني سَبَبْتُ الأولياء وتَنَقَّصْتُهُم إذا أنا قلتُ: إنَّ رسول الله خيرٌ منهم، وإنَّ زيارة قبره الشَّريف أفضل من زيارة قبورهم. فهل هذا هو سَبُّ الأولياء في نظرك؟ وأنت ـ أيُّها الفقيه! ـ إذا كنت تعتقد حقيقةً أنَّ رسول الله ﷺ هو في درجةٍ واحدةٍ مع «الأولياء»؛ فأنتَ مِن الَّذين يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﷺ، وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ. وَيْحَكَ ـ أيُّها الفقيه! ـ أهذه منزلة الرَّسول الأعظم عندك؟ لماذا ـ وَيْحَكَ! ـ لا يُرْضِيكَ أن يكون سيِّد الوجود خيرًا من «أوليائك» وأفضل منهم؟

ولا تَنْسَ ـ يا فقيه! ـ أنِّي أنا أحترم الأولياء وأُحِبُّهم خيرًا ممَّا تُحِبُّهم أنتَ.

فقال الفقيه: ولماذا؟

قال الرَّجل: لأنِّي أُحِبُّ جميع الَّذين سبقونا بالإيمان، ولكنِّي لا أَتَغَالَى فيهم؛ فلا أَعْتَقِدُ فيهم

الأُلُوهِيَّة، ولا أَعْتَقِدُ أنَّهم جميعًا يَبُوؤُونَ بِشِسْعِ نَعْلِ رسول الله ﷺ.

وأمَّا أنتَ ـ يا حضرة الفقيه! ـ فلا تُحِبُّ جميع الأولياء، بل تُؤْمِنُ ببعضٍ وتَكْفُرُ ببعضٍ، فالَّذين تُؤْمِنُ بهم تَتَغَالَى فيهم إلى درجةٍ بعيدةٍ جِدًّا، ورُبَّمَا تَغَالَيْتَ فيهم إلى حَدِّ التَّأْلِيه. وهؤلاء الأولياء الَّذين تَخُصُّهم بإيمانك وغُلُوِّكَ هُمْ أشياخُ الطَّريقة الَّتي تعتنقها. وأمَّا سواهم من الأولياء والأشياخ فلا يَعْنِيكَ مِن أمرهم شيء.

ودليلُ ذلك أنَّ هؤلاء الطَّلَبَة الفقهاء الَّذين يَنْتَسِبُون إلى الطُّرُق الصُّوفيَّة لا يُنَافِحُ كُلُّ واحدٍ منهم إلَّا عن الطَّريقة التي ينتسب إليها، ولا يُؤَلِّفُ الكتب إلَّا في مناقب أشياخها. قُلْ لِي بِرَبِّكَ هل تستطيع أن تجد فقيهًا واحدًا من أتباع الطَّريقة القادريَّة يُؤَلِّفُ كتابًا في مناقب الشَّيخ التِّجَاني، أو تجد فقيهًا تِجَانِيًّا واحدًا يُؤَلِّف كتابًا في فضائل الشَّيخ عبد القادر الجَيْلَاني، أو نحو ذلك؟ بل كُلُّ واحدٍ ينصر طريقته ويدعو إليها.

وهذا دليلٌ قاطعٌ على أنَّ الأولياء ليسوا عندكم سواء، على أنَّ هؤلاء الَّذين يَنسبون إلى «سيدي فلان» المناقب والكرامات، ويزعمون أنَّه قُطْبُ الأقطاب وغَوْثُ الأَغْوَاث، ويتظاهرون بالدِّفاع عنه وبالغيرة عليه ـ لا يفعلون ذلك محبَّةً في هذا «الوليّ» ولا غيرةً عليه، ولكنَّهم يفعلون ذلك طَلَبًا للخبز والمعاش، قد اتَّخذوا لأنفسهم اسمَ هذا «الوليّ» علامةً خصوصيَّةً لِكَسْبِهِم، وجعلوه «مَارْكْ دِي بُوزِي»!!

وقد رأيتُ بعيني وسمعت بأذني مُتَسَوِّلًا في بعض قُرَى الصَّحراء يقف على هذا الباب، فيسأل أهلَ الدَّار ويستعطفهم باسم الشَّيخ «التِّجاني»، ثُمَّ يقف على بابٍ آخر ويسأل باسم الشَّيخ «الجَيْلَاني»، ويقف على بابٍ ثالثٍ فيسأل باسم الشَّيخ «بن عبد الرَّحمان»، ويقف على الباب الرَّابع فيسأل باسم شيخ طريقةٍ أخرى، وربَّما وقف على بابٍ آخر فلم يذكر في السُّؤال إلَّا اسم الله واسم الرَّسول ﷺ. وقد عجبتُ منه لأوَّل مرَّةٍ، ولكن ما لبثتُ أن عرفت السَّبب، وذلك أنَّ هذا المتسوِّل كان يسأل كلَّ أهل منزلٍ باسم صاحب طريقتهم، وكان قد بحث عن كلِّ دارٍ فعرف الطَّريقة الَّتي تنتسب إليها. أمَّا اسم الله واسم الرَّسول فلا يذكرهما إلَّا عندما يقف على باب أحد المصلحين. ولكن من يدري؟ فلعلَّ جميع أشياخ الطُّرُق المعاصرين وسائر «مقاديمهم» لا يَثْبُتُون على طُرُقِهِم إلَّا ما دام لهم فيها

رزقٌ ومعاش، ولا يَعْدُو شأنهم فيها أن يكون كشأن هذا السَّائل.

قال الرَّجل: وقد رأينا كثيرًا من المقاديم كانوا على طريقةٍ ثُمَّ تركوها إلى طريقةٍ أخرى غيرها، لا لأنَّهم عرفوا أن الأُولى على ضلال، وأنَّ هذه الثَّانية هي على هُدًى من الله. ولا فعلوا ذلك ابتغاء مرضاة الله. ولكن لأنَّهم وجدوا أَنَّ الأُولى لا فائدة لهم منها ولا خير فيها، فتركوها إلى أخرى، عسى أن يجدوا لهم فيها رزقًا ومتاعًا، أو عسى أن يجدوا لهم في هذه الثَّانية خبزًا ومعاشًا، فهُم طُلَّاب خبزٍ ومعاشٍ، لا يهمُّهم ما عند الله من الأجر والثَّواب.

إنَّني أريد ـ يا حضرة الفقيه! أو يا حضرة المقدَّم! ـ أن أسألك سؤالًا، أرجو أن تجيبني عنه بما أراك الله من الحقِّ والصَّواب.

فقال الفقيه: سَلْ عمَّا تريد.

فقال الرَّجل: ماذا تقول في الشَّيخ «سيدي فلان» صاحب الطَّريقة الفُلانيَّة؛ هل هو «وليٌّ صالح»؛ كما يعتقد فيه أصحابه ومُرِيدُوه، أم هو دجَّالٌ خبيثٌ؛ كما يعتقد فيه بعض النَّاس؟

فقال الفقيه: بل هو طُرُقِيٌّ دجَّالٌ لا يشمُّ رائحةً للوَلاية والصَّلاح.

فقال الرَّجل: ولكن أتباعُه ومُرِيدُوهُ يعتقدون أنَّ «شيخهم» قد بلغ منتهى الكمال في الوَلاية والتَّقوى. فقال الفقيه: هم ضالُّون مخطئون.

قال الرَّجل: ولماذا؟

قال الفقيه: لأنِّي عرفتُ «شيخهم» هذا، فعرفت فيه خُبث السِّيرة وسوء السُّلوك، وذَكَرَ حكاياتٍ تدلُّ على هذا المعنى.

قال الرَّجل: وماذا تقول في الشَّيخ «سيدي فلان» مؤسِّس طريقتكم الَّتي أنت «مقدَّمٌ» فيها؟

فقال الفقيه: هو من أولياء الله ومن أكابر الصَّالحين، ما يكون عندك في ذلك من شكٍّ ولا ريب، وكلُّ من مات وهو غير مُحِبٍّ لشيخنا هذا مات ولا محالةَ على سوء الخاتمة.

فقال الرَّجل: والَّذين ماتوا قبل أن يُوجَد شيخكم من الصَّحابة والتَّابعين وتابعي التَّابعين، وهم بلا شكٍّ لم يعرفوه حتَّى يُحِبُّوه، هل هم أيضًا جميعًا ماتوا على سوء الخاتمة؟!

فبُهِتَ الفقيه ولم يجد ما يقول.

فقال الرَّجل: ولكن هل يُسَلِّم لكم هذا القول جميعُ أهل الطُّرُق الأخرى؟

قال: لا.

قال: وماذا يعتقدون فيكم؟

قال الفقيه: يعتقدون فينا أنَّنا ضالُّون مخطئون.

فقال الرَّجل: أنتم تقولون إنَّهم مخطئون ضالُّون، وهم يقولون إنَّكم مخطئون ضالُّون، وأنا أُصَدِّق قولهم فيكم وقولكم فيهم، كما أُصدِّق بقول اليهود في النَّصارى وبقول هؤلاء في اليهود، فيما حكاه الله عنهما في كتابه العزيز؛ إذ قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[البقرة:113]. ومن يدري لعلَّكم لَسْتُم على شيءٍ كما يعتقد فيكم أبناء الطَّوائف الأخرى، ولعلَّهم ليسوا على شيءٍ كما تعتقدون أنتم فيهم! ومن يدري لعلَّ أصحاب الطُّرُق جميعًا هم في ضلالٍ، وليسوا على شيء.

فأنكر بعضُ الحاضرين على الرَّجل هذا الكلام؛ قائلًا له: لا تُعَمِّم كلامك ـ يا هذا! ـ على الطُّرُقِ كُلِّها، ففي الطُّرُق ما هو خيرٌ وفيها ما هو شرّ، وفيها ما هو حقٌّ وفيها ما هو باطل، ومن أصحابها من هو بَرٌّ تقيّ، ومنهم من هو فاجرٌ دجَّال، ومِن الطُّرُق ما هو سُنَّةٌ، ومنها ما هو بدعة، فلا تجعل السُّنِّيِّين كالمبتدعين، ولا المتَّقين كالفجَّار.

فقال الرَّجل: ولا تَنْسَ ـ يا سيدي! ـ أنَّ الطُّرُق من حيث هِيَ في أصلها بدعةٌ وضلالةٌ، وقد يكون بعض الطُّرُقيِّين أخيارًا بررةً يتبعون السُّنَّة الثَّابتة، ولكنَّهم ما داموا طُرُقيِّين فهُم مُبْتَدِعُون مِن هذه النَّاحية، فالشَّرط الأساسي للمؤمن السُّنِّيِّ هو أَنْ لَا يُؤمِن بِخُرَافَةٍ ولا طريق.

والدَّليل على أنَّ هذه الطُّرُق هي كُلُّها مِن البِدَع والمحدثات؛ هو أنَّها لم تكن موجودةً على عهد رسول الله ﷺ، ولا على عهد خلفائه الرَّاشدين. وإن لم تُصَدِّقوا بهذا؛ فأَرُونِي ماهي طريقةُ سيِّدنا أبي بكرٍ، وما هي طريقةُ سيِّدنا عمر، وما هي طريقةُ سيِّدنا عثمان، وما هي طريقةُ سيِّدنا عليٍّ، وأين هي زواياهم إن كنتم تزعمون أنَّهم كانوا أصحاب طُرُقٍ وزوايا؟

فقال أحد الحاضرين: في هذه الطُّرُق زيادةُ خيرٍ على كلِّ حال.

فقال له الرَّجل: وَيْحَكَ يا هذا! ألا يكفيك ما كان يكفي الخلفاء الرَّاشدين؟ أما وَسِعَكَ ما وَسِعَ

رسولَ الله ﷺ؟ وهل تستطيع أن تكون أكثر فعلٍ للخير مِن رسول الله ﷺ ومِن أصحابه المطهَّرين؟ وَيْحَكَ ما هذا الكلام الَّذي تقول!؟

والتفت الرَّجل إلى الحاضرين وجعل يقول لهم: يا إخواني! لماذا نرضى لأنفسنا أن نكون من الَّذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:165]، ولا نكون مَن الَّذين أثنى عليهم تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة:165]؟ نَدَّعِي أنَّنا مؤمنون بالله ولا نشرك به شيئًا، ولكنَّنا مِن الَّذين: إذَا ﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[الزُّمَر:45].

وهكذا جَعَلَ يَعِظُهم بآيات الله، حتَّى وَجِلَت قلوبهم وفاضت بالدَّمع أعينهم.

والتفت إلى الحُجَّاجِ خاصَّةً وقال لهم: يا حُجَّاج بيت الله الحرام! اتَّقُوا اللهَ في الأرض المقدَّسة، ولا تفتروا عليها الكذب، ولا تُنَفِّرُوا النَّاس منها، وحدِّثوا عنها بأحسن ما رأيتُم فيها، فإنَّه ما مِن حاجٍّ جاء يفتري على حكومة الإسلام في الحجاز وينتقصُّها ويتَّهمها ظلمًا بغير حقٍّ ـ إلَّا كان ذلك دليلًا على أنَّ الله رفض حجَّته ولم يتقبَّلها منه. وما من حاجٍّ جاء يلهج بذِكْرِ الحكومة الإسلاميَّة في الأرض المقدَّسة ويتحدَّث عنها بأحسن ما شاهد وبخير ما رأى ـ إلَّا كان ذلك دليلًا على أنَّ الله قد قبل حجَّته قبولًا حسنًا. وقد رأيتُ رجلًا حجَّ عدَّة مرَّاتٍ، ولكنَّ نفسه ما زالت مظلمةً خبيثةً يَفُوحُ نَتَنُهَا، ويُطْلِقُ لسانَه في دولة القرآن الَّتي تُقِيمُ حُدُودَ الله، وهو يفتري عليها الأكاذيب والأقاويل، لا يقول عنها ما هو حقٌّ، وهو في الحقيقة بِعَمَلِهِ هذا يُنَفِّرُ النَّاس من الحجِّ، ويدعوهم إلى ترك هذا الرُّكن من أركان الإسلام، ولا فرق عندي بينه وبين من يدعو جهرةً إلى ترك الصَّلاة، على أنَّه كلَّما أراد الحجَّ إلَّا وطاف في البلدان يتكفَّف ما في أيدي النَّاس، ويسألهم المعونة على الحجِّ، فيحجُّ ببعضِ ما يتصدَّقون به عليه، ويُنفق على نفسه ما بقي، فهو يُريد الاكتساب وجَمْعَ المال، ولا يُريد الحجَّ ...

وجَعَلَ الرَّجل ينصح الحُجَّاج بهذه النَّصائح الغالية، ثُمَّ طلب منهم أن يَدْعُوا لَهُ اللهَ أن يُسَهِّل عليه طريقَه هو الآخر إلى بيت الله الحرام.

قال الحاجُّ صاحبُ الدَّار: فأثَّر كلامُ هذا الرَّجل في نفسي تأثيرًا عظيمًا وقلت له: أمَّا أنا فاللهُ يعلم

أنَّ قلبي قد طفح بالفرح والسُّرور عندما رأيتُ بنفسي أنَّه لا حُكْمَ في الحجاز إلَّا حُكْم الله؛ وأنَّ القائمين على تنفيذ هذا الحُكْم الإسلامي إنَّما هم عربٌ مسلمون؛ إخواني؛ هُم مِنِّي وإليَّ، وأنا منهم وإليهم. ولا أظنُّ أنَّه يُوجد مسلمٌ على وجه الأرض لا يتمنَّى من صميم فؤاده أن يملأ حُكْمُ الله الدُّنيا كُلَّها، وأن يشمل مَن في الأرض جميعًا، كما هو قد ملأ الحجاز وشمل أهل الحجاز.

وأمَّا القباب المهدومة، فإنَّ الحكومة العربيَّة الإسلاميَّة السُّعوديَّة قد أحسنت كثيرًا إلينا ـ معشرَ الحُجَّاج؛ فإنَّها بذلك قد وجَّهت وجهتنا كلَّها إلى الله وحده؛ فأقبلنا عليه تعالى بأفئدتنا وقلوبنا وبأسماعنا وأبصارنا، وكان حَجُّنا إليه خالصًا، وكُنَّا نقضي مناسكنا مخلصين له الدِّين، ولولا ذلك لَتَوَزَّعَت نيَّاتُنا، ولكان لنا في حَجِّنا مِن هذا القباب شركاء مع الله، على أنَّنا ذهبنا بنِيَّةِ أن نحجَّ إلى بيت الله الحرام ونزور قبر سيِّد الوجود ﷺ، ولم تكن نِيَّتُنا أن نحجَّ إلى تلك القباب المنصوبة أو المهدومة، ولو لم يكن ذلك مرادنا لَمَا حمَّلنا أنفسنا مشقَّة السَّفر إلى الحجاز، ولاكْتَفَيْنَا بزيارة هذه القباب الَّتي ملأت علينا بلادَنا؛ سهولها وجبالها، فمَن مِنَّا يصعد جبلًا أو يهبط أرضًا أو يقطع واديًا دون أن يجد كثيرًا من القباب و«المزارات»؟

وإنِّي أعتقد أن بعض المُطَوِّفين في الحجاز هم أيضًا يُهَوِّلُون مِن أمر هذه القباب المهدومة، ويُبالغون في تعظيمها، ويُكثرون من التَّأسُّف عليها، ويصفونها بعباراتٍ مؤثِّرةٍ تبعث في أنفس الحُجَّاج الحسرة والأسى، وتَسْتَثِيرُ حُزْنَهم على ذهابها وحَنَقَهُم على هادمها (!!). يقول المُطَوِّفُ للحاجِّ مثلًا: هنا كانت قُبَّةُ سيِّدنا فلان، صفتها كيت وكيت، وهدمها الملك! وهنالك في موضع كذا كانت قُبَّةُ سيِّدتنا فلانة، ويصف هذه القُبَّة بأروع الصِّفات وأجمل النُّعوت، ثُمَّ يقول له: وقد هدمها الملك أيضًا! فيظنُّ الحاجُّ المسكين أنَّه بذهاب هذه القباب قد فاته خيرٌ كثير.

ولو أنَّ الحكومة العربيَّة السُّعوديَّة قد نظرت في أمر هؤلاء المُطَوِّفين الَّذين يُشَوِّهُون سُمْعَتَها عند الحُجَّاج؛ فوضعت لهم نظامًا كالنِّظام الَّذي وضعته كثيرٌ من حكومات أُرُوبَّا للأَدِلَّاء والمُتَرْجِمِين الَّذين يُرافقون السُّوَّاحِين الَّذين يزورون بلادها ـ لَحَسُنَت سمعتها، ولَقَضَت على هذا النَّكير الَّذي يُثِيرُهُ عليها الجامدون من المسلمين، ولَسَلِمَت مِن هذه التُّهَم والأقاويل، الَّتي تُشاع عنها في كثيرٍ مِن بلاد الإسلام، ولعلَّها فاعلةٌ إن شاء الله.

قال الرَّاوي صاحبُ الدَّار: فقال لي الرَّجل: هكذا تكون النُّفوس الطَّيِّبة الطَّاهرة؛ يُزَكِّيها الحجُّ والعمل الصَّالح؛ فتزداد طِيبًا على طِيب، وطُهْرًا على طُهْر، ويَعْبَقُ عِطْرُها وعَبِيرُها، وإنَّنا لنعتقد أنَّ الله قد تقبَّل حجَّتك قبولًا حسنًا، وآيةُ ذلك أنَّنا نرى مُحَيَّاك يُشرق هُدًى ونُورًا.

قال: فسألتُ اللهَ أن يُحقِّق لي ما يقول هذا الرَّجل الصَّالح.

محمَّد السَّعيد الزَّاهري»

بِدْعَةُ خَطِيبِ السَّارِيَةِ بِمدينة بَلَّشْ [مِن بلاد الأندلس]

❖ صَاحِبُ الفَتْوَى:

ـ صاحبُ الفتوى ابتداءً هُوَ: «[أبو عبد الله] **محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الأنصاري السَّرَقُسْطِي الغَرْنَاطِي: عالمُها ومُفْتِيها وصالحُها، الإمام، شُهِرَ بِالسَّرَقُسْطِي، الفقيه العالم الزَّاهد الصَّالح العُمْدَة، أخذ عن أبي القاسم بن سراج وغيره، واشتهر عِلْمُه وصَلَاحُه، تَوَلَّى الفُتْيَا بغَرْنَاطَة، وأخذ عنه جماعةٌ كالقاضي أبي عبد اللَّه ابن الأزرق وأبي الحسن القلصادي وغيرهما، ونقل عنه المَوَّاق في مواضع مِن كتابه «سنن المهتدين»، قال القلصادي في «رحلته»: كان مِن أحفظ النَّاس لِمذهب مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ **... تُوُفِّي** رَحِمَهُ اللَّهُ **... عام 865هـ... مَوْلِدُهُ ... عام 784هـ ...** ». قاله أحمد بابا في «نيل الابتهاج» (ص539ـ540).

ـ والمُفْتي الثَّاني هُوَ: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد [وقيل: محمَّد] بن فتوح: العقيلي الأندلسي الغرناطي: «**مُفْتِيهَا وعالمُها، يُعرف بِابن فتوح ...** »، تُوُفِّيَ بغرناطةَ سنة 867هـ وقد نَيَّفَ على الثَّمانين سنة. «**وله فتاوى ذَكَرَ منها في «المعيار» جُملة**» [«نيل الابتهاج» (ص57ـ59)].

ـ والمُفْتي الثَّالث هُوَ: أبو الفرج، عبد الله بن أحمد البقني، الغرناطي: «**مِن علمائها وأحد المُفْتِين بِهَا، كان فقيهًا عالمًا إمامًا، كان حيًّا في حدود (860هـ)، بل تأَخَّر عنه. نَقَلَ عنه في «المعيار»، ورأيتُ له عِدَّة فتاوى**». قاله أحمد بابا في «نيل الابتهاج» (ص233).

❖ مَصْدَرُ الفَتْوَى:

أورد الفتوى أبو العبَّاس أحمد بن يحيى الوَنْشَرِيسِي في «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب» (1/ 276ـ278).

❖ نَصُّ الفَتْوَى:

«**وسُئِلَ السَّرَقُسْطِي** عمَّا يفعله أهل مدينة «بَلِّشْ» بِجامع الخُطْبَة مِن داخل سُورِها، وذلك أَنَّهُ إذا صعد الخطيب على المنبر وشرع المؤذِّنُ في الأذان قام المُتَوَلِّي لِتفريق الأجزاء القرآنيَّة فيقف بِجانب المنبر خطيبًا، فيقول: عباد الله! ثُمَّ يُنَبِّهُهُم على فَضْل ذلك اليوم، وبِما ثبت في ذلك عن رسول الله ﷺ مِن أنَّ فيه ساعةً الدُّعاءُ فيها مُجَاب، ثُمَّ يَحُضُّهُم على الدُّعاء ويُرَغِّبُهُم فيه، ثُمَّ يَدْعُو لأمير المسلمين ثُمَّ للمسلمين أجمعين، ويَخْتِم الدُّعاء بِأن يقول: «وآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين». هل هذا أمرٌ سائغٌ يُثَابُ فاعلُه؛ لِمَا فِيهِ مِن التَّعريف بِفضل ذلك والتَّرغيب في الدُّعاء والابتهال إلى الله ﷻ؟ أو يُقَالُ إِنَّهُ بِدْعَةٌ فيَجِبُ الامْتِنَاعُ مِنه والإِنْكَارُ على فاعلِهِ؟ وإذا كان كذلك، فما يكون في الحُبُس الَّذي حُبِس على ذلك الوظيف؟

فأجاب: الجوابُ عن السُّؤالِ فَوْقَهُ: إِنَّ ما ذُكِرَ فِيهِ لم يُنْقَل عَن السَّلَف الصَّالح مِثْلُهُ، ولا عُهِدَ فِيهِم فِعْلُهُ، ولَوْ كَانَ لَنُقِل. وقد قَرَّرَ الفقهاء أحكامَ يومِ الجمعة قَبْلَ الخُطْبَةِ وبَعْدَهَا فلم يَذْكُرُوا ذلك، فهو إِذَنْ داخلٌ تَحْتَ عُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثاتِ الأُمُور، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة**»، وتَحْتَ قَوْلِهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فهُوَ ردٌّ**».

ولَيْسَ مِن السُّنَّة الَّتي قَالَ فيها رسولُ الله ﷺ: «**عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِين مِن بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ**».

والأَدِلَّةُ على ذَمِّ فَاعِلِهَا كثيرة، ويَكْفِي منها ما ذُكِر.

وهي جُرْحَةٌ في إِمَامَةِ مُرْتَكِبِها وشَهَادَتِهِ، إِنْ لم يَتُبْ منها وأَصَرَّ عليها. والتَّائِبُ مِن الذَّنْبِ كمَن لا ذَنْبَ له.

والحُبُس عليها باطلٌ مردودٌ على مُحَبِّسِهِ ووَارِثِه، إِنْ عَلِم، فإِنْ جَهِلَ نَظَرَ الحاكمُ في مَصْرِفِهِ كما لم يوجد له مَالِكٌ، وبِاللهِ التَّوفيق.

■ **وتقيَّد تَحْتَهُ ما نَصُّهُ:** ما ذَكَرَهُ المُجِيبُ فوق هذا على السُّؤال فَوْقَهُ: صحيحٌ، ويَجِبُ على مَن له الحُكْمُ مِن قاضٍ وغيرِه مَنْعُهُ، ولا يَسُوغُ لَهُ تَرْكُهُ.

وكَتَبَ إبراهيم بن أحمد بن فتوح ـ وفَّقه الله.

■ **وتقيَّد بِعَقِبِ هذا ما نَصُّهُ:** الحمدُ لله. ما ذَكَرَهُ الشَّيخان المُجِيبان على السُّؤالِ أعلاه: كُلُّهُ صحيحٌ لا شَكَّ فيه، ومَن فَعَلَهُ أو أَمَرَ بِهِ فهُوَ مَطْرُودٌ عَن حَوْضِ رسول الله ﷺ؛ لأَنَّهُ بَدَّلَ وغَيَّرَ ما كان عَلَيْهِ أَمْرُ رسولِ اللهِ ﷺ وخُلَفَائِهِ مِن بَعْدِهِ، واتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ المؤمنين وجَاءَ بِشريعةٍ ثانية.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:115].

والسُّكُوتُ على مَن فَعَلَ ذلك والرِّضَا بِهِ مُوجِبٌ لِنُزُولِ عذابِ اللهِ وعِقَابِهِ.

أسألُ اللهَ العَصْمَة.

وكَتَبَ عبد الله بن أحمد البقني ـ وَفَّقَهُ اللهُ وعَفَا عنه.

■ **[صدور الأمر السُّلطاني بِمَنْعِ بِدْعَة خَطِيب السَّارِيَة]**

وتقيَّد بِإِذْنِ الأَمْرِ العَلِي بِمُقْتَضَى هذه الفَتْوَى ما نَصُّهُ: عن الأَمْرِ العَلِي المُؤَيَّد الكريم المَوْلَوِي السُّلطاني المحمَّدي المنصور بِالله النَّصْرِي ـ أدام الله علاءَه ونَصَرَ لِوَاءَه: يَعْتَمِدُ بِحَوْلِ الله تعالى وقُوَّتِهِ القاضي بمدينة «بَلِّشْ» ـ حَرَسَها الله ـ والخطيبان بِمسجدها الأعظم والقائدُ والوُزَرَاءُ بها ـ وَصَلَ اللهُ عِزَّتَهُم ووَالَى رِفْعَتَهُم ـ على أن يكون الوقوفُ في قضيَّة خَطِيب السَّارِيَة عندما صدرت الفتوى العلميَّة مِن أهل العلم بِالحَضْرَة، ولا سبيل أن يُتَعَدَّى حَدُّهَا، إِذْ هِيَ مِن البِدَع المُحْدَثَة الَّتي لا ينبغي إِقْرَارُها ولا السَّمح فيها.

فمَن وَقَفَ على هذا الأمر الكريم فَلْيَعْمَل بِمُقْتَضَاه، ولْيُمْضِ ما أَمْضَاه. **وكُتِبَ في الثَّاني والعشرين لِمُحَرَّم، عام ثمانيةٍ وخمسين وثمانمائة** [858هـ]. **صح هذا. انتهى**».

بقايا محراب مسجد مدينة بَلِّشْ

فَضْلُ تَعَلُّم الكبير

الشَّيخ جمال الدِّين القاسمي الدِّمشقي[1]

«يَخَالُ كثيرٌ من النَّاس أنَّ تعلُّم العلم لا يتأتَّى إلَّا في مقتبل السِّنِّ، وأنَّ الكبير قد حِيلَ بينه وبين المعارف فلا يتسنَّى تعلُّمه وتعليمه. فيمتنع أحدهم من الاستفادة لِكِبَر سِنِّهِ واستحيائه من تقصيره في صِغَرِه أن يتعلَّم في كِبَرِه، وقد رضي بالجهل أن يكون موسومًا به، وآثره على العلم أن يصير مبتدئًا به، فهذا من خُدَع الجهل وغُرُور الكَسَل، لأنَّ العلم إذا كان فضيلةً فرَغْبَةُ ذوي الأسنان فيه أولى، والابتداء بالفضيلة فضيلة، ولَأَنْ يكون شيخًا متعلِّمًا أولى من أن يكون شيخًا جاهلًا. وقد حُكي أنَّ بعض الحكماء رأى شيخًا كبيرًا يحبُّ النَّظر في العلم ويستحيي، فقال له: «**يا هذا، أتستحيي أن تكون في آخر عُمرك أفضل ممَّا كنتَ في أوَّله**». نعم، لا يُنكر أنَّ للكبير قواطع كثيرة كما حُكي أنَّ الأحنف بن قيس سمع رجلًا يقول: «**التَّعليم في الصِّغر كالنَّقش في الحَجَر**»، فقال الأحنف: «**الكبير أكثرُ عقلًا، ولكنَّه أشغل قلبًا**»، إلَّا أنَّه ليس المقصود تكليفه من الاستفادة والتَّعلُّم بما يُكلَّف به الصَّغير كمًّا وكَيْفًا، بل المراد أن يصرف جمام قوَّته في الميسور، ويأخذ من كلِّ فنٍّ أحسنَه، ويكتفي منه بِشَمِّه، ولا يَنِي في طلبه، فيكون سَعَى في فكِّ رقبته من ربقة الجهل شيئًا فشيئًا، وفي تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة حالًا والفوز بالمثوبة مآلًا، فإنْ ساعده العُمر طلب التَّبحُّر، وإلَّا اشتغل بالأهم واسْتَوْفَاه، وتطرَّف من غيره، كما قيل:

تَفَنَّنْ وخُذْ مِن كُلِّ عِلْمٍ، فإنَّما ... يفوق امرؤٌ في كُلِّ فَنٍّ له علم

(1) نُشِرَ في جريدة «**ثمرات الفنون**» ـ بيروت، السَّنة الخامسة والعشرون، العدد (1197)، الاثنين 25 ربيع الثَّاني سنة 1316هـ – الموافق 12 أيلول سنة 1898م، (ص5).

ومن العناية بالكبير حينئذٍ أن يُوَفَّقَ له معلِّمٌ مرشدٌ يقتصر به على قدر وُسْعِه، ويرشده إلى ما هو الأَوْلَى به، وَلْيَصْبِر على ما يعروه من الاستحياء لِيَحْمَدَ مَغَبَّةَ سعيه، وإلَّا فقد قيل: «**مَن رَقَّ وَجْهُه رَقَّ عِلْمُه**»، وقيل: «**يَرْتَعُ الجهل بين الحياء والكِبْر**». وَلْيُقَلِّل من كثرة أشغاله الَّتي تستوعب زمانه وتستنفد أيَّامه، فإذا ارتاض بهذه الرِّياضة الحَسَنَة ووَفَّاها حقَّها فلا تمضي مدَّةٌ إلَّا وتلوحُ عليه عَلَائِمُ الفضل وطلائع الأدب والعرفان، فإذا خالطت فؤادَه بشاشةُ ما هو فيه آثره على كلِّ محبوبٍ سواه، ولا يزالُ يتدرَّجُ حتَّى يترقَّى إلى الذِّروة الَّتي يبلغها بِجِدِّه، وهذا لا يَسَعُ عاقلًا إنكارُهُ، ولكن، يا للأسف مِمَّا رسخَ في النُّفوس من استبعاد تعلُّم الكبير والإعراض عن إعارة هذا الأمر النَّظرَ السَّليم، فترى أحدهم متى طلعت ذَقْنُه يقول: راحت عليه، فرَضِي بِرِداء الجهل لباسًا وعَمَى البصيرة حِلْيَةً، فَكَرَّت عليه أيَّامُه بالباطل، ومضت أعوامُه بلا طائل.

إذا لـــم يكـــن مَـــرُّ السِّـــنين مترجمًـــا عـــن الفضـــل فـــي الإنســـان ســـمَّيته طفـــلًا

ومـــا تنفـــع الأيَّـــام حـــين يعـــدُّها ولـــم يســـتفد فـــيهنَّ علمًـــا ولا فضـــلًا

وكلُّ من استدلَّ بفطرته على استحسان الفضائل ينبغي أن ينفي عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم، وغفلة الإهمال باستيقاظ المعاناة، ويرغب في العلم رغبة متحقِّق لفضائله واثقٍ بمنافعه، فمن شمَّر عن ساق ا لجِدِّ وجد مفتاح الجَدّ، ومن خدم المحابر خدمته المنابر، ومن ركب الأمل الوَاسِع لم يستبعد المَحَلَّ الشَّاسِع، ومن لَجَّ وَلَج، ومن أدام قرع الباب رُفِع له الحجاب. ج. ق».

رَدٌّ عَلَى نَقْد
(رَدٌّ على الكَوْثَرِي)

بقلم الشَّيخ محمَّد نصيف[1]

اطَّلعتُ على ما نُشر في صحيفتكم الغرَّاء بعدد 28 ـ 29 بقلم الأستاذ الشَّيخ عبد الرَّحمن خليفة والشَّيخ الكوثري، والَّذي كتبتُه للأستاذ عبد الرَّحمن[2] لم أكن أقصد به أن ينشر ولا هو إملاء على علماء مصر كما زعم الكوثري، بل من باب المذاكرة مع رجلٍ من أهل العلم يكتب في تحريم البدع، والتَّنفير منها، ويدعو إلى السُّنَّة، وقد طعن في مقالاته في كبيرٍ من أنصار السُّنَّة هو الإمام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ. فكتبتُ إليه مستحسنًا طريقته في الرَّدِّ على البدع، منبِّهًا له على فضل الإمام ابن تيميَّة ومقامه الجليل بين علماء الدِّين، وأنَّ ما قيل في حقِّه من تكفير المسلمين كذبٌ لا أصل له، وأهديت له من مؤلَّفات هذا الإمام، ومن مؤلَّفاته غيره من أهل الحديث السَّلفيِّين، أقصد بذلك جمع الكلمة وأنَّ عالمًا مثله لا يليق به أن يكتب في جَرْح أحدٍ من صغار أهل العلم فضلًا عن كبارهم إلَّا بعد مطالعة مؤلَّفاتهم، وإذا ردَّ عليهم ما يراه خطأً أو ضلالًا، فليكن ذلك مصحوبًا بالدَّليل من الكتاب والسُّنَّة، لأنَّ مخالفهما يستحقُّ أن يُقال له مخطئٌ إن كان عن سهوٍ أو غفلة، وإن كان عن عنادٍ ومشاقَّةٍ كان ضلالًا أو كفرًا، فحضرة الأستاذ الشَّيخ عبد الرَّحمن لم يطالع من كتاب الرَّد على الإخنائي غير صحيفة 96 أو طالعه ولم يعلق بذهنه فيه إلَّا باقي تلك الصَّحيفة، فحكم أنَّ الإمام ابن تيميَّة كفَّر

---

(1) مقالٌ نُشِرَ في مجلَّة «الإسلام»، السَّنة الخامسة، العدد (37)، يوم الجمعة 20 رمضان سنة 1355هـ -الموافق 4 ديسمبر سنة 1936م، (ص22-24).

(2) هُمَا رسالتان كتبهما الشَّيخ محمَّد نصيف إلى الشَّيخ عبد الرَّحمن خليفة. انظرهما في هذه النَّشْرَة في باب (أدب الرَّسائل).

الإخنائي وهو مسلم، وإنِّي ولله الحمد قد طالعتُ مؤلَّفات الإمام ابن تيميَّة وغيره فلم أَرَ أورع منه في هذا الباب. ومن ذلك أنَّ البكري والإخنائي قد كفَّراه، ومع ذلك قال في جوابهما: إنَّه يعتقد أنَّ ما قالاه كفرٌ ولكنَّه لا يُكفِّرهما لعدم معرفتهما الحق، وأنَّه لا ينتقم لنفسه، فإنَّ التَّكفير حقٌّ لله تعالى لا يجوز أن يُكفَّر أحدٌ إلَّا بعد إقامة الحُجَّة عليه. فالأمل في فضيلة الشَّيخ عبد الرَّحمن أن يُطالع الكتاب بتمامه ثُمَّ يُنصف في حُكمه على مؤلِّفه.

وإنَّ حُبِّي للإمام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعلماء المسلمين من أنصار السُّنَّة إنَّما هُو لحبِّهم لله ورسوله والقرآن الكريم والحديث الشَّريف، ولذلك أسعى في نشر فضائلهم لتحبيب النَّاس فيهم رغم أنوف مبغضيهم. وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:31]. إنَّ حُبَّنا معشر السَّلفيِّين لرسول الله ﷺ وصحابته الكرام والتَّابعين لهم بإحسان وسَلَف الأُمَّة، ليس كحُبِّ أهل البدع لِمن يُحبُّونهم بِاللِّسان ويُغَالُون في الاستغاثة بهم، بل حُبُّنا لهم إنَّما هُو بِحُبِّ ما يُحبُّون مِن الكتاب والسُّنَّة، وتحمُّل الأذى في نشر ذلك وبيانه للنَّاس وتبليغه.

وإنَّ خصوم الإمام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يردُّوا عليه بدليلٍ من كتاب أو سُنَّة بل بِقول فلان وعلَّان، وادِّعاء أنَّه قد خالف الإجماع، مع أنَّ دعوى الإجماع قد ردَّها أهلُ العلم، وللإجماع شروطٌ معلومة في كتب الأصول «والدِّينُ قال الله قال رسوله» ولو جرحنا العلماء بِقول بعضهم في بعضٍ لما سَلِم لنا أحدٌ ولم يسلم الأئمَّة الكبار أنفسهم فضلًا عن غيرهم، وكتب العلم مشحونةٌ بذلك وما سلم أحدٌ من جارح، وإنَّما العبرةُ في الجَرْح بِمخالفة الكتاب والسُّنَّة. أمَّا ما كتبه الحصني وابن حجر الهيتمي ومن حذا حذوهما في الطَّعن على شيخ الإسلام ابن تيميَّة فدعوى مجرَّدة وسباب وتكفير لا يقام لهما وزن، ولا يسمع كلامهم بلا حُجَّة إلَّا الجهَّال الَّذين لا يعرفون الدَّليل، ولو طلب منهم الدَّليل على ما قالوا لأُفحموا.

وقد طالعتُ كتاب «زغل العلم» و«النَّصيحة» وما في كقدمتها للكوثري فجزمتُ بأنَّهما مكذوبان على الإمام الذَّهبي، ومخالفان لما ذكره في ترجمة الإمام ابن تيميَّة في كتابه «تذكرة الحفَّاظ» جزء رابع صحيفة 278، فإنَّه وصفه بالإمام العلَّامة الحافظ النَّاقد المفسِّر المجتهد البارع شيخ الإسلام، عَلَم الزُّهَّاد، نادرة العصر، وبِأنَّه من بحور العلم، والأذكياء المعدودين والزُّهَّاد الأفذاذ، والشُّجعان

الكبار، والكرماء الأجواد، وأثنى عليه الموافق والمخالف... إلخ، والذَّهبي ممَّن يعرف الإمام ابن تيميَّة ويشهد له شهادة الحقِّ أنَّه من أنصار الدِّين، وأنَّه خصمٌ القبوريَّة، والمتكلِّمين، والحلوليَّة، والاتِّحاديَّة، والذَّهبي أعلى من أن يكتب في شيخه ويعيب على تلامذته وهو أحدهم، فليس هذا من آداب الذَّهبي ولا من دأب العلماء. ولو صحَّ لنا أن نأخذ بكلِّ ما قيل إن صدقًا وإن كذبًا، لكان لنا أن نصدِّق ما قيل في الأستاذ الكوثري إنَّ سبب عداوته للكماليِّين هو إغفاله وعدم تعيينه رئيسًا للأمور الدِّينيَّة أو المذهبيَّة هناك، وأنَّه كان من أنصار السُّلطان وحيد الدِّين المخلوع الَّذي خنع للمستعمرين، واستصدر فتوى من العلماء الرَّسميِّين حينئذ بكفر الوطنيِّين المدافعين عن وطنهم اغتصابَ الغاصبين، وأنَّ الكوثري طرد كذلك من تركيا لتعاطيه أمورًا تنسب إليه ويقولها النَّاس عنه، وليس هذا محلّ ذكرها، ولو كنت بارعًا مثله في انتحال دعوى الغيب والهجوم على ما لا يعرف كقوله إنَّ سبب تأليف «القول الجلي» هو أنَّ مؤلِّفه كان عند النَّابلسيِّين، وأنَّ مؤلِّف «جلاء العينين» كان دعايةً للسَّيِّد القِنَّوْجِي صدِّيق حسن خان، ولعلَّ الكوثري يتجرَّأ فيقول فيما بعد لم يقم محمَّد نصيف بطبع الكتب ونشرها إلَّا لترويج تجارته في نَجْد، أو ليحظى بالتَّقرُّب لدى أهل نجْد، ألا فليعلم حضرته أنَّ محمَّد نصيف سَلَفي العقيدة من عام 1321هجريَّة، أي من قبل أن يحلم أهل نَجْد بِالاستيلاء على الحجاز بِسنين عديدة، وأنَّ دينه دائمًا الكتاب والسُّنَّة لا أكبر منهما في صدره مع احترامه لعلماء الإسلام، كالأئمَّة الأربعة وغيرهم.

وليعلم الكوثري أنَّ أحد علماء الهند ممَّن يشدِّد في الطَّعن على الحنفيَّة، قد طبع من مصنَّف ابن أبي شيبة القسم المتعلِّق بأبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ قائلًا: إنَّ هذا القسم يشتمل على 125 حديثًا مرفوعة الإسناد خالفها أبو حنيفة وأخطأ الاجتهاد، وقد استعار منِّي المذكور ترجمة الخطيب لأبي حنيفة، وقام بطبعها وهو الَّذي طبعها دوني، لا كما زعم الكوثري، فإنِّي من المعظِّمين للإمام أبي حنيفة، ولمَّا استنسخت التَّرجمة المذكورة من مصر، استنسخت معها الرَّد عليها، وكان غرضي من ذلك الاطِّلاع عليهما معًا لا أكثر ولا أقل.

وقد طالعتُ كتاب «رفع الالتباس، عن قول البخاري وقال بعض النَّاس» للشَّيخ شمس الحق الهندي، وقد جمع فيه ما يغيظ قلوب المتعصِّبين من الحنفيَّة من نفس كتبهم، ولم يؤثِّر ذلك في

احترامي للإمام أبي حنيفة، وقد نفعني الله بكتاب «رفع الملام عن الأئمَّة الأعلام» لشيخ الإسلام الإمام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، وما جاء فيه من أعذار الأئمَّة في مخالفتهم لبعض الأحاديث لا عن عمدٍ بل لأعذارٍ عشرةٍ بسطها في ذلك الكتاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

يسأل الأستاذ الكوثري علماء الأزهر ويستفتيهم عمَّا جاء في كتاب «السُّنَّة» للإمام عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، وليت شعري هل يريد الكوثري من علماء الأزهر أن يتجرَّؤوا مثله على الطَّعن في أئمَّة المسلمين، ويردُّوا ما جاء في هذا الكتاب عن أئمَّة المسلمين، كالإمام أحمد، وابن المبارك، والثَّوري، وأضرابهم؟!!

إن كان يظنُّ ظانٌّ في علماء الأزهر هذا الظَّنَّ السَّيِّء أيَّام كانت الكتب الرَّسميَّة في العقائد كـ«السَّنوسيَّة» و«الخريدة» و«بدء الأمالي» و«العقائد النَّسَفِيَّة»، وأمثالها من كتب متأخِّري الأشاعرة والماتُريديَّة، أيَّام كانوا لا يرتفعون قليلًا عن هذا المستوى ولا يعنون بمطالعة كتب الإمام الأشعري نفسه ككتابه «مقالات الإسلاميِّين» وما كتبه في آخر أمره في نَصْر مذهب السَّلَف كـ«الإبانة»، إن كان يظنُّ بهم ذلك حينئذٍ، فلا مجال للظَّنِّ بهم الآن، وفيهم المحقِّقون البحَّاثون الَّذين خرجوا على تقاليد علماء الكلام الباطلة، وعلى رأسهم المصلح الحكيم فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشَّيخ المراغي، أمدَّ الله في عمره، ووفَّقه لما قصد إليه من الإصلاح.

إن كان كتاب «السُّنَّة» قد أخذ بِمخانق الكوثري وغاظه، وأقضَّ مضجعه، فلينتظر قريبًا ما هو مثله أو خيرٌ منه وهو كتاب «نقض الإمام الدَّارمي عثمان بن سعيد، للجهمي العنيد بِشْر المريسي، ومن على شاكلته».

وحسب الكوثري تعريفًا ما كتبه عنه تلميذه وأعلم النَّاس به (حسام الدِّين القدسي) في مقدِّمة «الانتقاء في فضل الثَّلاثة الأئمَّة الفقهاء»، ورحم الله امرءً عرف قدره، وكفى النَّاس شرَّه، والسَّلام.

18 شعبان. **محمَّد نصيف ــ جُدَّة الحجاز.**

اعتراف الأئمَّة مِنَ العُلَمَاءِ بِفَضْل شَيْخ الإسلام ابْنِ تَيْمِيَّة

بقلم الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّزَّاق حمزة[1]

«قَرَأْتُ كلمة الأستاذ الوجيه السَّيِّد محمَّد نَصِيف في الدِّفاع عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة، ولِي رأيٌ في المسألة أضمُّه إلى رأي الأستاذ وأَدْعَمُهُ بِهِ، تَجْلِيَةً للصَّواب، وبيانًا للحقّ، وإظهارًا لفساد تُهَم ومزاعم خاطئة تورَّط فيها كَاتِبُوهَا، جَرْيًا وراء تعصُّبهم الأعمى وانحيازهم الممقوت.

شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة اتَّفَقَ على تعظيمه وعِلْمِه أكابرُ العلماء من مُوَافِقٍ ومُخَالِف، وانتفعوا بكتبه وتحقيقاته في المعقول والمنقول من عصره إلى الآن ، لا يكاد يُحْصِيهم العَد، ولا تحوي أسماءهم وثناءهم عليه مجلَّدات، ومن أولئك الأئمَّة الَّذين أثنوا على ابن تيميَّة وقرَّظوه، وحملوا إلى الآفاق سيرته العطرة، ومواقفه المشهودة في الدِّفاع عن العقيدة السَّلفيَّة، وعن السُّنَّة المطهَّرة، والنِّضال عن رأيه وعقيدته ومذهبه: الإمامُ الذَّهبي، وابنُ القَيِّم ، وابنُ كثير ، والمِزِّي ، والعَيْنِي الحَنَفِي، والبُلْقِينِي، ومَن عاصرهم، والعراقي، وابنُ حَجَر العسقلاني، وتلاميذه، كالسَّخاوي، والبِقَاعِي، ومَن بعدهم، كالسُّيُوطي، والمُلَّا علي القَارِي الحَنَفِي في الجزء الأوَّل مِن «جمع الوسائل شرح الشَّمائل» (ص206)، وهَلُمَّ جَرًّا. وكُلُّهم ينقلون قولَه مع الاحترام للموافقة أو المخالفة، كما يخالف العلماء بعضُهم بعضًا مع الأدب والتَّوقير، حتَّى إنَّ أَشَدَّهُم مخالفةً له كالسُّبْكِي وابنه التَّاج ما استطاعوا أن يجحدوا فضله، أو يتجاهلوا قدره، فما علينا بعد ذلك أن يقع فيه شرارُ الخَلْق كالرَّافضة، والقُبُوريَّة، والحُلُولِيَّة الاِتِّحَادِيَّة، والإِبَاحِيَّة مِن الطُّرُقِيَّة، وجَهَلَة المُقَلِّدَة، وللإمام ابن تيميَّة ومُحِبِّيهِ أن يتمثَّلوا بقول القائل:

---

(1) نُشِرَ في مجلَّة «الإسلام» ـ مصر، السَّنة الخامسة، العدد (39)، يوم الجمعة 11 شوَّال سنة 1355هـ –الموافق 25 ديسمبر سنة 1936م، (ص24ـ25).

إِذَا رَضِـــيَتْ عَنِّـــي كِـــــــرَامُ عَشِيـرَتِـــــــي فَـــــلَا زَالَ غَضْـــــــــبَانًا عَلَـــيَّ لِئَامُـــــهَا

على أَنَّ مِمَّا حَبَّبَ إلى قلوبنا ذلك الإمام، بعد معرفتنا فضله، وإيماننا ببلوغه الغاية في العلم والورع والتَّقوى، ونصره لكتاب الله تعالى وسُنَّة نبيِّهِ ﷺ ـ هُوَ بُغْضُ أولئك الأشرار له، ووقوعُهم فيه، ومَقْتُهُم لِمُوَافِقِيه:

وَإِذَا أَتَتْـــكَ مَذَمَّتِـــــي مِـــنْ نَاقِـــــصٍ فَهِـــيَ الشَّـــهَادَةُ لِـــي بِأَنِّـــي كَامِـــلُ

أمَّا إذا أردنا أن يُطْبِقَ النَّاس قاطبةً في كُلِّ عصرٍ على حُبِّ الإمام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورَوَّحَ رُوحَه، وأعلى درجته في عِلِّيِّين ــ فقد أردنا المُحَال. فإِنَّ هذا أمرٌ لم يخلق الله عباده عليه، ولم تَجْرِ سُنَّةُ الله في خلقه بِجَمْعِهم على كلمة الحق، بل جَرَت دائمًا بِطَبْعِهِم على الاختلاف، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:118-119]. فَقُلْ لِي بِرَبِّك: هل أَطْبَقَ النَّاس على حُبِّ الله وتوحيده، والإيمان به وبِرسله؟ هل صَدَّقَ فرعونُ وجنودُه كَلِيمَ الله موسى؟ هل آمن اليهود بِعِيسَى نَبِيِّ الله ورسوله وكلمتِهِ الَّتي ألقاها إلى مريم العذراء الطَّاهرة البتول ...؟ هل آمنوا بخاتم أنبيائه محمَّدٍ ﷺ وعلى سائر إخوانه المرسلين؟

سأل مالكٌ أحد تلاميذه، لعلَّه مُطَرِّف بن عبد الله، عند فراغه من تأليف «المُوَطَّأ»: ماذا يقول النَّاسُ فيه؟ فأخبره بِاختلافهم، فقال الإمام مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الحمدُ لله، لا يزال هذا شأنهم، نعوذ بِاللهِ مِن اتِّفَاقِ الكلمة على الذَّمِّ**»، أو ما هذا معناه، فَلِلهِ دَرُّ الإمام مالك، ما أَعْرَفَهُ بطبيعة النَّاس؟؟ أَمَّا هؤلاء الخفافيش الَّذين عَمِيَت بصائرُهم عن فضل هذا الإمام، فَهُم في الحقيقة إِنَّما يُذِيعُونَ فَضْلَهُ مِن حيث لا يشعرون.

وَإِذَا أَرَادَ اللـــــــهُ نَشْـــــــرَ فَضِـــــــيلَةٍ طُوِيَـــــتْ، أَتَـــاحَ لَهَـــا لِسَـــانَ حَسُـــودِ

وهذا هو الواقع، فإنَّ عندنا في بلادنا رجلًا ما فتح قَلْبَه لِحُبِّ شيخ الإسلام ابن تيميَّة وكُتُبِهِ وحُبِّ مُحِبِّيه، والوقوف إلى جانب مُوَافِقِيه إلَّا إِدْمَانُهُ في أَوَّل أَمْرِهِ قراءةَ كُتُب النَّبْهَاني، فحَفَزَتْهُ هِمَّتُهُ إلى أن يقرأ كُتُبَ ذلك الَّذي أَوْلَعَ النَّبْهَانِي بِذَمِّهِ والزِّرَايَةِ عليه، ففَتَحَ اللهُ بَصَرَهُ لِمُشَاهَدَة نُور الحق، وعَرَفَ خَطَأَ ما كان يظنُّه ويتوهَّمُه، مع أَنَّه كان يقرؤُها قراءةَ إيمانٍ وتصديقٍ بِصِحَّة ما جاء فيها وموافقته للواقع، وكان مُتَصَوِّفًا على طريقة الخَتْم السُّودَانِي، ووصل فيها إلى درجةٍ محترمةٍ عندهم.

وأنا الفقيرُ رَاقِمُ هذا البيان، وكَاتِبُ حروفه ـ ما فتح آذاني لِسَمَاعِ آراء ابن تيميَّة، والانتفاع بكتبه إِلَّا إِغْرَاق طُرُقِيٍّ في شتمه وذَمِّه، والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ.

ومَثَلُ أولئك الَّذين يصدُّون عن سبيل الله، ويَبْغُونَهَا عِوَجًا مَثَلُ قُطَّاع الطَّريق، مَن اشتغل بهم عَاقُوهُ عن السَّيْر وانحرفوا به عن جَادَّة الصِّراط المستقيم، ولا أزال أحفظ عن بعض الأصدقاء ـ ما معناه: إنَّ الرَّجل المصلح السَّائر في طريق الخير والفلاح ينبغي له أَلَّا يلتفت إلى مَن يَعترضه في طريقه، وأَلَّا يَأْبَهَ لِقَولِ مُعَارِضٍ يَرْزَؤُهُ أو حَاسِدٍ يَشْنَؤُهُ، وإِلَّا انقطع به السَّيْر ووقف من حيث ابتدأ. وأعرف كاتبًا مصريًّا نَهَجَ لِنَفْسِهِ طريقًا في مخالفة أهل الحَقِّ ظَنَّهُ حَقًّا، وتوهَّمَهُ صِدْقًا، ومشى فيه قُدُمًا، وسار عليه أممًا، لا يَلْوِيهِ عن السَّيْر فيه قَوْلُ مُعَارِض، ولا نَقْضُ مُخَالِف، ولم يلتفت إلى مَن اشتغلوا بمناظرته والرَّدِّ عليه على كثرتهم، فإذا كان هذا عمل أهل الحَزْم مِن المُبْطِلِين، فلماذا لا يَسِيرُ عليه أهل الحق!؟ مع أَنَّ معهم الحَقّ الَّذي يعرفه لهم طَالِبُو الحق، ولا يَضُرُّهُم أن يكون في النَّاس مَن يُنْكِرُ الحَقّ، فاللهُ هُوَ الحَقُّ ودِينُهُ الحَقّ، وسينصره في كُلِّ زمانٍ أَهْلُ الحَقّ، وحَسْبُنَا هذا وكفى، وسلامٌ على عباده الَّذين اصطفى. **محمَّد بن عبد الرَّزَّاق حمزة**».

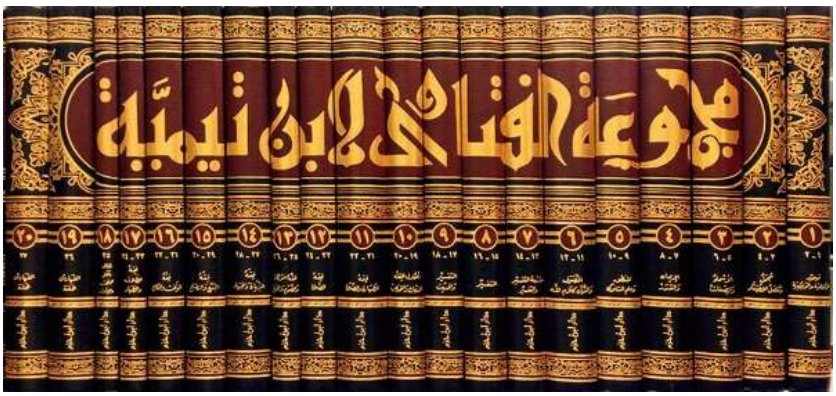

رِسَالَتَان من الشَّيخ محمَّد نَصِيف إلى الشَّيخ عَبْد الرَّحمن خليفة

(في الدِّفاع عن شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة)[1]

■ **الرِّسالة الأولى:**

« ... لِمناسبة ما حرَّرتموه في مجلَّة «الإسلام» بالعدد 17 ص30 أرسلتُ لكم قبل هذا كتاب «الاستغاثة» في الرَّد على البكري والإخنائي المالكي، ويحسن بِمن أراد أن يُطالع ما كتبه العلماء بِحَقٍّ عن ابن عربي وابن الفارض وأضرابهما مِن القائلين بالحلول والوحدة، أن يُطالع كتاب «جلاء العَيْنَيْن في محاكمة الأَحْمَدَيْن» للآلُوسِي، يجد فيه كثيرًا من آراء العلماء الموافقين للإمام بن تيميَّة رحمهم الله، وبِالخزانة الزَّكِيَّة بِمصر كتاب «تنبيه الغبي» للبقاعي، وبِالمعهد السُّعُودي بِمكَّة كتاب «القول المُنْبِي عن ترجمة بن عربي» للسَّخاوي، ذكر فيه أقوال العلماء الموافقين لابن تيميَّة، ومن طالع كتاب «الرَّد الوافر» للحافظ بن ناصر الدِّين الدِّمشقي، و«القول الجلي في ترجمة بن تيميَّة الحنبلي» وأمثال هذه الكتب يجد فيها الكثير من أقوال العلماء المعاصرين للإمام ابن تيميَّة وغير المعاصرين له من علماء المذاهب الأربعة، ويرى مبلغ إطرائهم ومدحهم له، ومناصرتهم لطريقته الَّتي هي طريقة السَّلَف، وأظنُّ أنَّ الرِّسالة المسمَّاة «قمع المعارض» للسُّيوطي مِمَّا نسب إليه زورًا، فإنَّه ولد بعد ابن تيميَّة بإحدى وعشرين ومائة سنة، فكيف يقول: «ما رمقت عيني أوسع علمًا ولا أقوى ذكاءً من رجلٍ يقال له بن تيميَّة ... » إلخ، وهو لم يره بعينه، وكيف يمدحه بالزُّهد والقيام بالحق والجهاد بكلّ ممكن ... إلخ، ثمَّ ينسب إليه العُجْب والكِبْر وفرط الغرام بالرِّياسة والمشيخة،

---

(1) نُشِرَتا تحت عنوان (**مراسلات حجازيَّة**)، في مجلَّة «**الإسلام**» ـ مصر، السَّنة الخامسة، العدد (28)، يوم الجمعة 16 رجب سنة 1355هـ-الموافق 2 أكتوبر سنة 1936م، (ص31ـ33).

وهذا ابن الوردي صاحب «اللَّاميَّة» المشهورة يقول من مرثيَّةٍ له فيه، وقد توفِّي محبوسًا في قلعة دمشق:

عَثَـــا فـــي عِرْضِـــهِ قـــومٌ ســـلاط ... لهـــم مـــن بَحْـــرِ جـــوهره التقـــاط

تقـــيُّ الـــدِّين أحمـــد خيـــر حَبْـــر ... خـــروق المعضـــلات بـــه تُخَـــاطُ

تـــوفي وهـــو محبـــوسٌ فريـــد ... ولـــيس لـــه إلـــى الـــدُّنيا انبســـاطُ

ولـــو حضـــروه حـــين قضـــى لألفـــوا ... ملائكـــة النَّعـــيم بـــه أحـــاطُوا

فيـــا للـــه مـــا قـــد ضـــمَّ لحـــدٌ ... ويـــا للـــه مـــا غطَّـــى الـــبلاطُ

هُمُـــو حســـدوه لمَّـــا لـــم ينـــالوا ... مناقبـــه، فقـــد مكـــروا وشَـــاطُوا

وكـــانوا عـــن طريقتـــه كُسَـــالَى ... ولكـــن فـــي أذاه لهـــم نشـــاطُ

وحَـــبْسُ الـــدُّرِّ فـــي الأصـــداف فَخْـــرٌ ... وعنـــد الشَّـــيخ بالســـجن اغتبـــاطُ

بِـــآل الهاشـــمي لـــه اقتـــداء ... فقـــد ذاقـــوا الهـــوان ولـــم يُواطُـــوا

إمـــامٌ لا ولايـــة كـــان يرجـــو ... ولا وقـــف عليـــه ولا ربـــاطُ

ولا جَـــارَاكُمُو فـــي كســـب مـــالٍ ... ولـــم يعهـــد لـــه بكـــم اختـــلاطُ

سـيظهر قصـدكم يـا حابسـيه ونيـتكم إذا نصـب الصِّـراطُ

فهـا هـو مـات عـنكم واسـترحتم فعَـاطُوا مـا أردتـم أن تُعـاطُوا

وحلُّـوا واعقـدوا مـن غيـر رد علـيكم قـد طـوى ذاك البسـاطُ

وهي طويلة، وقد وصفه فيها كما ترى بما هو خليقٌ به من أوصاف العلماء، ولو كان الإمام ابن تيميَّة متكثِّرًا من الدُّنيا مغرمًا بالرِّياسة والمشيخة لكان على مشرب الجمهور ولَجَارَى (الطُّرُقِيِّين) أو على حدِّ تعبير إخواننا المغاربة (المرابطين) في كَسْب المال بِاسم النُّذور، والاستغاثة بالمقبور، ولكنَّه كان أَمَّارًا بالمعروف نَهَّاءً عن المنكر، ولذلك ثقل على قلوب كثيرٍ من معاصريه لِظلامها، وما أشبه اللَّيلة بالبارحة، ومسألة مَنْعِ شَدِّ الرِّحال للزِّيارة سُبِقَ فيها الإمام ابن تيميَّة بِالإمام الجويني الشَّافعي، وقد نقل النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على مسلم قولَ الجويني في الجزء الثَّالث (ص304) من الطَّبعة الكستية. قال النَّووي: «قال الشَّيخ أبو محمَّد الجويني من أصحابنا: يَحْرُمُ شَدُّ الرِّحال إلى غير المساجد الثَّلاثة». وقد ذكرتُ هذا ـ وإن كنتُ على يقينٍ من سعة اطِّلاعكم ـ من باب التَّذكير لفضيلتكم لِما شممته من إنصافكم في البحث».

■ **الرِّسالة الثَّانية:**

«السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد ـ فيسرُّني أن أعلن لفضيلتكم إعجابي العظيم أنا والإخوان بأبحاثكم النَّفيسة، وأجوبتكم السَّديدة، الَّتي ترجع بالمسلمين إلى عهد السَّلف الصَّالح أيَّام كان الحق مهيمنًا، والباطل زاهقًا منهزمًا، تلك البحوث والأجوبة الَّتي تنشر في مجلَّة «الإسلام» الغرَّاء، وإنَّه ليحقُّ لِمجلَّةٍ أنتم مِن حملة أقلامها تقدُّمها وحصولها على رضاء وثقة قرَّائها، وبخاصَّةٍ من يُحَكِّمُونَ فيما شجر من خلافٍ بين المسلمين كتابَ الله وسُنَّة نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإنِّي أشكر لكم شجاعتكم بِنَقْلِ نصوص الحنفيَّة وعدم تحريفها لِهَوَى العامَّةِ موافقةً لهم، واتِّقاءً لما يرمون به كلَّ

من يقوم من العلماء بالتَّنفير من البدع والشِّركيَّات. غير أنِّي أرجو أيُّها الأستاذ أن تسمحوا لي بالملاحظة على عبارةٍ جاءت بالعدد 20 هذا نصُّها: «ولا أقول بما ذهب إليه ابن تيميَّة وأصحابه أنَّ الدُّعاء عند أصحاب القبور يُساوي داءهم والدُّعاء بهم» إلى آخر (ص40)، وأخرى هذا نصُّها: «كالمعترض الَّذي يريد إحراجي وإدخالي فيما لم أدخل فيه من تكفير أهل القبلة بمجرَّد الظَّنِّ والشَّك تمشِّيًا مع الهوى والغرض كما فعل ذلك ابن تيميَّة وأصحابه» إلى آخر (ص43). ومعلومٌ من مذهب شيخ الإسلام ابن تيميَّة ومن قبله ومن بعده مِمَّن هم على هذا الصِّراط المستقيم أنَّهم لم يجعلوا تَحَرِّي إجابة الدُّعاء عند قبور الصَّالحين مثل دعائهم، وكذلك لم يجعلوا الدُّعاء بهم مثل دعائهم، بل يَرَوْنَ الدُّعاء بهم وتحرِّي الإجابة عند قبورهم مِن البدع المحرَّمة الَّتي حدثت بعد عصر الصَّحابة والتَّابعين، ولم يكفِّروا أحدًا عمل بِهذين أو بِواحدٍ منهما، ولم يُكفِّروا أحدًا من أهل القبلة بِمجرَّد الظَّنِّ والهوى والغرض، فخطر ببالي وببال الإخوان أنَّكم ربَّما قرأتم كلام الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نقلًا عن بعض الكتب، وقد يسهو النَّاقل فيُخطئ، أو يتعمَّد الخطأ لغرضٍ في النَّفس، فأحببتُ أن ألفت نظر فضيلتكم لذلك، وبِمطالعة كتاب «التَّوسُّل والوسيلة» لشيخ الإسلام، و«الرَّد على البكري» له، و«صيانة الإنسان»، وغير ذلك، يظهر جليًّا ما قُلْتُهُ لكم، وأَمَّا حُكْمُ فضيلتكم فلا نعارض فيه، لأنَّنا قد علمنا من تدقيق مقالاتكم وأجوبتكم مبلغَ علمكم ونزاهة مبدئكم، وعظيم إخلاصكم، وتدرُّجكم شيئًا فشيئًا، فإنَّهم إذا اعتقدوا حرمة دعاء غير الله سهل عليهم بعد حينٍ تسميتُه شِرْكًا كما سمَّاه رسول الله ﷺ شِرْكًا.

وختامًا أسألُ الله تعالى أن يُطيل عمركم على هذه الطَّريقة المحمودة، وأن يكثر من المسلمين أمثالكم، وتفضَّلوا بقبول أجلِّ احتراماتي. **محمَّد نصيف ـ بِجُدَّة (الحجاز)**».

❖ قال الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«المَسَافَات وَإِنِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَفْصِلَ بَيْنَ الأَجْسَام، فَإِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْصِلَ بَيْنَ الأَرْوَاح!»

[مجلَّة «الشِّهاب»، م11، ج1، محرَّم 1354هـ ـ أبريل 1935م، (ص59ـ61)]

ومُنَاسَبَةُ هذهِ الكلمة وسياقُها: ما ورد في «الشِّهاب» تحت عنوان (إعانة عائلات المنكوبين في حوادث 5 أوت [1934م])؛ أي: حوادث اعتداءات يهود مدينة قسنطينة على المسلمين، وخلاصته أنَّ الأستاذ محمَّد أمين الحُسَيْنِي رئيس اللَّجنة التَّنفيذيَّة للمؤتمر الإسلامي بِالقُدْس الشَّريف، أرسل مُساعدةً لعائلات المنكوبين في تلك الحوادث، وتمثَّلت المساعدة في (شِيكْ) بـ 50 جُنَيْهًا و5 شِلِنَات، «**وقعَ تحويله بِلُنْدُنْ على طريق (الكُومْبَانِي أَلْجِرْيَانْ)، فبَلَغَت قِيمَتُها بالفِرَنْكْ: 3665 فِرَنْكًا، وقع توزيعُها على عائلات المنكوبين كما يلي...** » إلخ، حيث نشر ابنُ باديس أسماءهم وعناوينهم والقيمة ـ بِالفِرَنْك ـ الَّتي أخذتها كُلُّ عائلة، وعددهم 53 عائلة.

قال ابنُ باديس: «**هذه هِيَ الإعانة الَّتي وَرَدَت مِن إخواننا سُكَّان القُدْس الشَّريف وَزَّعْنَاهَا كما تقدَّم**»، وقال: «**فَبِلِسَانِ هؤلاء المنكوبين لَا يَسَعُنا إلَّا أن نُثْنِيَ على تلك الهِمَّة الشَّمَّاء، هِمَّة المحسن الكبير الأستاذ أمين الحُسَيْنِي، وعلى رفاقه الَّذين تَخَطَّت بهم هِمَمُهم الوَثَّابة كُلَّ تلك المسافات الَّتي تفصلُ بن القُطْرَين؛ فَبَرْهَنُوا على أنَّ المَسَافَات وَإِنِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَفْصِلَ بَيْنَ الأَجْسَام، فَإِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْصِلَ بَيْنَ الأَرْوَاح!**»

❖ قال الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِيتُونِي أَخْدِمُ مَعَكُمْ، فَأَنَا خَادِمُ العِلْم»

[صحيفة «البصائر»، السِّلسلة الأولى، العدد (168) (ص8)]

ومُنَاسَبَةُ هذهِ الكلمة وسياقُها: (الاحتفال بِوَضْع الحَجَر الأساسي لِمدرسة الحياة الجِيجَلِيَّة)، بتاريخ الأحد 24 ربيع الأوَّل 1358هـ موافق 14 ماي 1939م، حيثُ اجتمع أعضاء جمعيَّة الحياة، واسْتَدْعَوا الأستاذ الرَّئيس الشَّيخ عبد الحميد بن باديس، لِيَكُون الواضع لأَسَاس المدرسة الجديدة، نُصِبَ للأُستاذ سُلَّمٌ، «فنَزَلَ إلى الأساس، ووَضَعَ الحَجَر الأوَّل لهذا المعقل العظيم ... وما صعد الأستاذ حتَّى كانت الأُمَّة مُستعدَّةً لِرَدْم الأساس، وكثُر الزِّحام، ويَا سُرورَ مَن وَجَدَ مِسْحَاةً أو فَأْسًا؛ لِيُشارِكَ بِيَدِهِ كما شارَكَ بِمَالِهِ في بناء هذا الحصن المنيع الَّذي يكون في المستقبل مأوى الشَّباب النَّاهض ومعقل الإسلام.

لم يَكْتَفِ الأستاذ بِوَضْع الحَجَر الأساسي، بل ما صعِدَ ورأى الأُمَّةَ تتزاحَمُ، حتَّى قالَ:

إِيتُونِي أَخْدِمُ مَعَكُمْ، فَأَنَا خَادِمُ العِلْم».

النُّكَتُ على كتاب «أحكام الجنائز» (4)

❹ قال الشَّيخ ناصر في (ص51) ـ تحت المسألة 30: «ولمن تولَّى غسلَه أجرٌ عظيمٌ.... »، وذكرَ الحديث في ذلك: «**مَن غسل مسلمًا فكَتَمَ عليه غَفَرَ لهُ اللهُ أربعينَ مَرَّةً**... »، وقال في تخريجه:

«وقد رواه الطَّبراني في «الكبير» بلفظ: «**أربعين كبيرة**».

وقال المنذري (4/ 171) وتبعه الهيثمي (3/ 21): «رواته محتجٌّ بهم في الصَّحيح».

وقال الحافظ ابن حجر في «الدِّراية» (1 40): «إسنادُهُ قويٌّ»» اهـ.

قلتُ: رَجَعَ الشَّيخُ عن تصحيحِ الحديث بلفظ: «**أربعين كبيرة**»، وحكم عليه بالشُّذُوذ، كما في «ضعيف التَّرغيب والتَّرهيب» (2049)، و«السَّلسلة الضَّعيفة» (6781)، وهناك تَعقَّبَ الحافظَ ابنَ حجر في تقويته الحديث باللَّفظ الشَّاذ.

❺ قال الشَّيخ ناصر في (ص54): «المسألة 32ـ ولا يشرع غسل الشهيد.... » اهـ.

وذكر الأحاديث في ذلك بلفظ: «**فلم يغسلهم**»، وتردَّد في صحَّةِ لفظ: «**لا تغسلوهم**».

ولم يُصرِّح بحكم غسلِهِ هل هو محرَّمٌ أو مكروهٌ؟

قلتُ:

▪ **عند المالكيَّة**: قال الخَرَشِي في «شرح خليل» عند قوله «ولا يغسل شهيد معترك»: «قال بعضٌ: **ينبغي تحريمًا**، ولم أقف عليهِ».

ـ وقال النَّفراوي في «الفواكه الدَّواني» والعَدَوي على «أبي الحسن على الرِّسالة» وعِلِيش في «مِنَح الجليل»: «والمراد أنَّه **يحرم تغسيله**» اهـ.

ـ وقال الدُّسوقي في «حاشيته»: «ممَّن صرَّح **بحرمة تغسيله** ابن رشد في «المقدِّمات»».

ـ وقال الزُّرقاني على خليل: «وغسل الشَّهيد... **حرامٌ**» اهـ.

ـ وقال التَّتائي: «إنَّ حرمةَ تغسيل الشَّهيد هي مقتضى تعليل عدم غسله، ولم أقف على نصٍّ فيها» اهـ [«الزُّرقاني على خليل»].

■ **الشَّافعيَّة**: قال المَاوَردي: «ليسَ مِن السُّنَّةِ أن يُغَسَّلُوا» [«الحاوي»].

ـ وقال الرَّافعي: «ما المعنى بقولنا: لا يغسل...؟ يعنى به: أنَّهما لا يَجِبان أو يحرمان».

ـ وقال النَّووي: «الشَّهيد لا يجوز غسله».

وقال: «حرامٌ على المذهب».

وقال: «والمذهب: تحريمُ غسلُ الشهيد، وبهِ قال جمهور العلماء. ودليلُه حديث جابر: «**فلم يغسلهم**»، «**لا تغسلوهم**»» [باختصار من «المجموع»].

■ **الحنابلة**: قال المَرْدَاوي: يحتمل أنَّ غسله محرَّمٌ ويحتمل الكراهة فقط. وذكر أنَّ التَّحريم روايةٌ عن أحمد.

ونقل عن [ابن عبد القوي] صاحب «مجمع البحرين» ـ قوله: «**لم أقف على تصريحٍ لأصحابنا هل غسل الشَّهيد حرامٌ أو مكروه، فيحتمل الحُرْمَة لِمُخَالَفَةِ الأمرِ. انتهى**».

ـ وقال ابن مفلح في «النُّكت والفوائد على مشكل المحرَّر»: «لم يُصَرِّح المصنِّف في «شرح الهداية» الغسل، **لكنَّه احتجَّ بأمره عليه الصَّلاة والسلام بدفنهم بدمائهم. وظاهره يدلُّ على تحريم غسله.**

وكذا الشَّيخ موفَّق الدِّين في أثناء كلامه. وكلام غيره: عدم وجوب الغسل والعفو عنه. وظاهره أنَّه لا يحرم، وأنَّ قولهم: «لا يغسل»، أي: لا يجب غسله كما يجب غسل غيره. **وقطع الشَّيخ وجيه الدِّين بأنَّه لا يجوز غسله، بل يجب تركه؛ لأنَّه أثر الشَّهادة والعبادة**».

ـ وذكر الشَّيخ ابن عثيمين اختلاف أصحابه الحنابلة: هل تغسيل الشَّهيد حرامٌ أو مكروه؟ ثُمَّ قال: «والصَّحيح: أنَّه حرامٌ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ «أَمَرَ بِقَتْلَى أُحُدٍ أن يُدْفَنُوا بِدِمَائِهِم ولم يَغْسِلْهُم»، ولأَنَّ التَّغسيل واجبٌ، ولا يترك مِن أجل فعل المكروه، فلا يترك إِلَّا لمحرَّم» اهـ.

■ **الحنفيَّة**: نسبَ النَّووي إلى الحنفيَّة أنَّهم يقولون بقولهم؛ بأنَّه لا يجوز غسله. ونقله عن النَّووي: ابن مفلح في «النُّكت والفوائد»، أي: أنَّ أبا حنيفة وافقهم على تحريم غسلِهِ.

■ **ابن حزم**: قال في «المحلَّى»: لا يَلزم غسله.

الحاصل:

إذا ثبتت روايةُ النَّهي: «**لا تغسلوهم**»، كان للقول بتحريمِ غسلِهِم وَجْهٌ.

ـ وإذا لم يثبت إلَّا رواية التَّرك: «فلم يغسلهم»، فهي تدلُّ على الِاستحباب. قال ابن تيميَّة: «**وترك النَّبِيِّ ﷺ غسل الشَّهيد ... يَدُلُّ على عدم الوجوب، أَمَّا استحباب التَّرك، فلا يدلُّ على تحريم الفعل**» اهـ.

قلتُ: لكن يؤخذ التَّحريم من قوله ﷺ: «**لُفُّوهُمْ فِي دِمَائِهِم**» [انظر الحديث في «أحكام الجنائز»].

فالحُجَّة كما قال ابن مفلح: في: «**أَمْرِه ﷺ بدفنهم بدمائهم. وظاهره يدلُّ على تحريم غسله**». كما تقدَّم، والله أعلم.

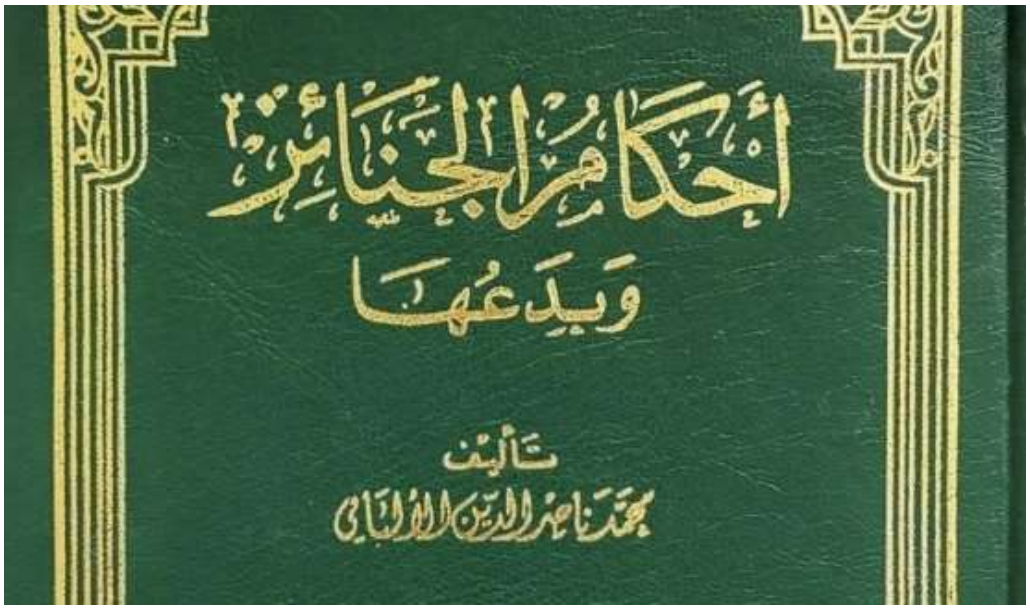

مُخْتَارَاتٌ

الجَارُ العَيُون

قال محمَّد بن حارث الخُشَنِي في «أخبار الفقهاء والمحدِّثين» (ص194ـ195/ ط. مدريد) (في ترجمة أبي عبيدة اللَّيثي؛ مسلم بن أحمد، القرطبي):

قال خالد بن سعد: أخبرني أبو عبيدة قال: حدَّثنا الرَّبيع بن سليمان قال: ...

سمعتُ الشَّافعي يقول:

كان رجلٌ وكانت له شاةٌ كريمة، وكان له جَارٌ عَيُون، فكان إذا أراد أن يحلب شَاتَهُ تَخَيَّر وقت مغيب جاره العَيُون، قال: فبَيْنَا يحلب شَاتَهُ ذات يومٍ إِذْ أَقْبَلَ جارُه العَيُون فنظر إلى ضرعها، فأعجبه، فأدخلت الشَّاةُ رِجْلَهَا في الضرع فشَقَّتْهُ، قال: «قَتَلْتَ شَاتِي بِالعَيْن»، فقال: «لَوْ كُنْتُ أَقْتُلُ شَاتَكَ بِالعَيْن لَقَتَلْتُ حِمَارَكَ الأَشْهَب، عَهْدِي بِهِ السَّاعَةَ يَرْعَى في المرج». قال: فَلَمْ يَنْشَب أَنْ أَتَاهُ ابْنُهُ فقال: «يَا أَبَتَا أَدْرِك الحمار، فقد مات».

وحدَّثني أبو عبيدة قال: حدَّثني نصر بن مرزوق قال: حدَّثنا أبو صالح عبد الغفَّار بن داود قال: سمعتُ اللَّيثَ بن سعد:

«قَلَّمَا مَنْ يَمُوتُ مِنَ النَّاس بعد آجالهم مِنَ العَيْن».

مُخَالَفَةُ العَامَّةِ حَرْبٌ

قال محمَّد بن حارث الخُشَنِي في «أخبار الفقهاء والمحدِّثين» (ص194) (في ترجمة أبي عبيدة اللَّيثي؛ مسلم بن أحمد، القرطبي):

قال لي يعلى بن سعيد: تكلَّمتُ مع أبي عبيدة يومًا في خَبَر القِبْلَة، فقال لي:

ما أَنْصَفَنِي مُعَلِّمُك ابن خمير، وقفتُ أنا وهُوَ بِمكَّةَ في المسجد عند مِيزابِ البيت، وأثبتُّ لهُ الرُّسُوم الَّتي بها يَسْتَدِلُّ المُسْتَدِلُّ على القِبْلَة حيثُما كانَ، فلمَّا وصلَ إلى الأندلس ذكَّرْتُهُ بهذا ودَعَوْتُه إليها، فلم يذهب إلى ما عرَفَ منها.

قال يعلى بن سعيد: فأَتَيْتُ ابنَ خمير فذَكَرْتُ لهُ قولَ أبي عبيدة، فسكتَ ساعةً، ثُمَّ قال:

«**مُخَالَفَةُ العَامَّةِ حَرْبٌ**».

لَا بُدَّ مِنَ الوَطَن

قال محمَّد بن حارث الخُشَنِي في «أخبار الفقهاء والمحدِّثين» (ص304) (في ترجمة قاسم بن محمَّد القرطبي):

قال خالد بن سعد: ... وسمعتُ أسلم بن عبد العزيز يقول: سمعتُ محمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول: لم يقدم علينا من الأندلس أحدٌ أعلمُ مِن قاسم بن محمَّد، ولقد عاتبتُهُ في انصرافه إلى الأندلس، وقلتُ لهُ: «أَقِم عندنا، فإنَّك تتقلَّدُ هاهنا رياسةً ويحتاج النَّاسُ إليكَ».

فقال لي قاسم: «**لَا بُدَّ مِنَ الوطَن**».

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾

قال محمَّد بن حارث الخُشَنِي في «أخبار الفقهاء والمحدِّثين» (ص372) (في ترجمة يحيى بن إبراهيم بن مُزَين القرطبي):

[أَنَّهُ كان عِنْدَهُ] .... رجلٌ من الطَّلبة، فجعل يَقْرَأُ عليه ولا يُحْسِن، حتَّى مَرَّ بِحَرْف... صَحَّفَهُ تَصْحِيفًا مُنكَرًا، فلم يَبْقَ في المجلسِ أَحَدٌ إلَّا غَلَبَ عليه الضَّحِك، إلَّا الشَّيخ ابن مُزَين، فإِنَّهُ لَمْ يَضْحَك، ونَظَرْنَا إِلَيْهِ قد احْمَرَّ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ لِمَن حَضَرَ:

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

طُرَّةٌ فِيهَا ذِكْرُ:

وصيَّة أبي حامد الغزالي لتلميذه ابن العربي

وُجِدَ في آخر ورقةٍ من كُنَّاشٍ خطِّيٍّ [من محفوظات مؤسَّسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدَّار البيضاء، برقم (330/ 10)]: طُرَّةٌ فيها هذه الفائدة:

«الحمد لله. رُوِيَ أنَّ الإمام ابن العربي المعافري ـ دفين فاس ـ لمَّا أراد أن يُودِّع شيخَه سلطان العلماء أبا حامد الغزالي قال له: أوصني بوصيَّةٍ تنفعني في الدُّنيا والآخرة، فأنشد له هذه الأبيات:

عليـــك كتـــابَ اللـــه فهْـــو مقـــدَّمٌ ... بتفســـيره إن كنـــتَ للعلـــم طالبَـــا

وبعـــدُ حـــديثَ المصـــطفى وفُروعَـــه ... تنـــال مـــن اللـــه الكـــريمِ المواهبَـــا

والـــزَم فـــروعَ الفقـــه تَحْـــظَ بدَرسِـــهَا ... وتَلْـــقَ اعتـــزازًا دائمًـــا ومكاسِـــبَا

والـــزَم فـــروعَ النَّحْـــوِ تحفـــظ جميعَـــه ... فمـــا عُـــدَّ مَـــنْ لـــم يُحســـن النَّحـــو طالبَـــا

اهـ كما وُجِد».

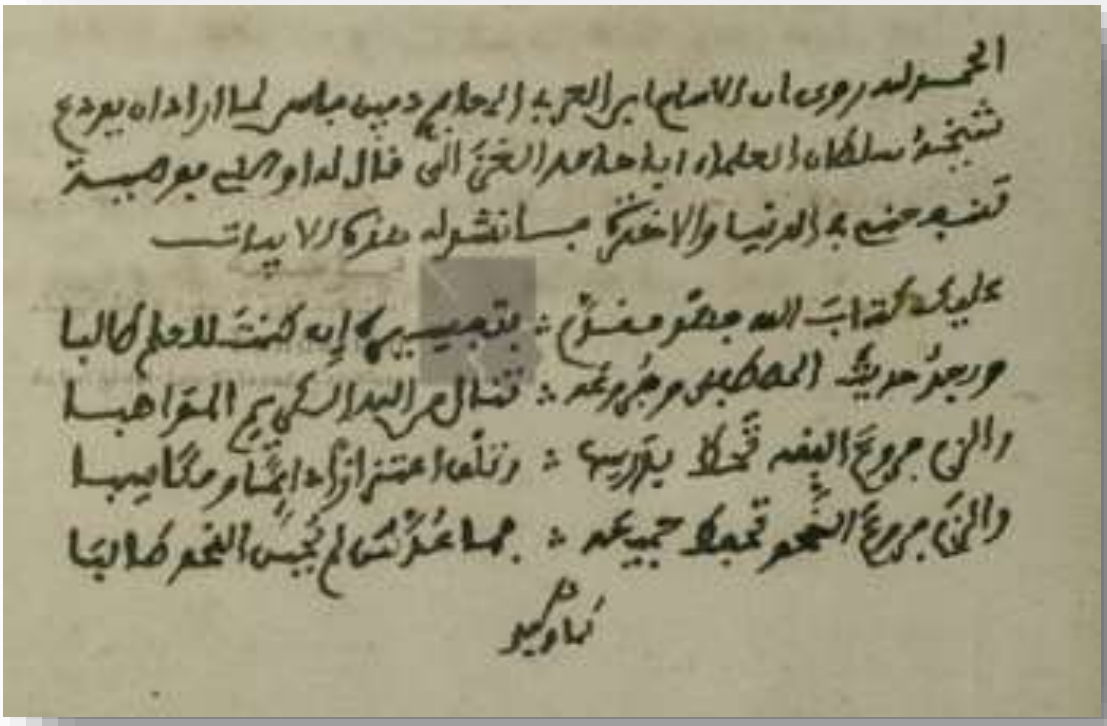

■ **قلتُ:**

نقل نحوَه المختار السُّوسي في كتاب «المعسول» (18/ 303)، وصَدَّرَهُ بِقوله: **وقد أوصى الإمام الغزالي بعض تلامذته بقوله:** .....

وزاد في آخره بيتًا:

وطَـــالِعِ سِـــوَى هـــذا، فأنـــت مخيَّـــرٌ وكُـــنْ لعلـــوم الفيلســـوف مجانبًـــا

القَصِيدَة الشَّاهِيَّة

محمَّد المبارك الجزائري ـ نزيل دمشق (ت 1330هـ=1912م)[1]

■ قال الشَّيخ عبد القادر أفندي قباني ـ صاحب «ثمرات الفنون»:

«**الشَّاي**: هو الشَّراب النَّفيس الَّذي فاح شذا عبيره في جميع الآفاق، حتَّى بلغنا عن ثقةٍ أنَّ عقلاء أروبَّا ولا سيَّما الإنكليز منهم قد آثروه على الخمر، واستعملوه مع الطَّعام عوضًا عن الخمر، لما تحقَّقوا من أنَّه ينوب منابه من غير ضرر.

وقد وقفنا على قصيدةٍ مبتكرةٍ غرَّاء في وصف الشَّاي، نَظَمَ عِقْدَها العالم الألمعي الأديب والفاضل واللَّوذعي الأريب الشَّيخ محمَّد أفندي المبارك الجزائري ـ نزيل دمشق، فأحببنا إثباتها تفكهةً للقُرَّاء الكرام، لا سيَّما المغرمين بِشُرْبِه، وهاكها بنصِّها الشَّائق. قال حفظه الله»:

قهـــوةُ الشَّـــاي وهـــي ألطـــف قهـــوة ... لـــم تـــدع لـــي فـــي قهـــوة الـــبُنِّ شـــهوة

أَبِســـوداء يُعـــدَل الشَّـــاي وهـــو الشَّـــ ... ـــاه كـــلَّا لتلـــك أعظـــم هفـــوة

لـــو درى النَّـــاسُ مـــا لـــه مـــن مزايـــا ... مـــا خطـــوا نحوهـــا لعمـــرُك خطـــوة

مـــا ابنـــةُ الـــبُنِّ فـــي الحقيقـــة إلَّا ... مـــن جواريـــه صـــادفت حســـن حظـــوة

(1) نُشِرَت في جريدة «**ثمرات الفنون**» ـ بيروت، السَّنة الثَّانية والعشرون، العدد (1044)، الاثنين 19 ربيع الأنور سنة 1313هـ ـ الموافق 9 أيلول سنة 1895م، (ص4).

وحـــــوت دولـــــةً لـــــدى كـــــلِّ حبـــــر ماجـــــدٍ كـــــان فـــــي المكـــــارم قـــــدوة

لكـــــن الشَّـــــاي بُغْيَـــــة القـــــوم أمّـــــا عقـــــدوا فـــــي مرابـــــع البســـــط حبْـــــوة

أو دعـــــاهم داعـــــي الهنـــــاء إلـــــى مـــــو رد صـــــفوٍ فـــــي روضـــــةٍ فـــــوق ربـــــوة

فهـــــو أبهـــــى لونًـــــا وأشـــــهى مـــــذاقًا وهـــــو أذكـــــى نشـــــرًا وأعظـــــم نشـــــوة

طـــــاب بالسّـــــكَّر اللَّذيـــــذ شـــــرابًا فـــــأُديرت أقداحُـــــه وهـــــي حلـــــوة

ونمـــــا فضـــــلُه بحســـــن قبـــــولٍ فـــــي قلـــــوبٍ لهـــــا مـــــع اللـــــه خلـــــوة

رَاحُـــــهُ يُـــــنعش النُّفـــــوس ارتياحًـــــا فلهـــــا هـــــزَّةٌ إليـــــه وصـــــبوة

يشـــــرح الصَّـــــدر بهجـــــةً وســـــرورًا لـــــذَّة السّـــــكْر لا تعـــــادل صـــــحوة

كـــــم أراق الصَّـــــهباء مَـــــن كـــــان يهـــــوى شـــــربها عنـــــدما احتســـــى منـــــه حســـــوة

فـــــأَدِرْ صـــــاحِ منـــــه كأسًـــــا دهاقًـــــا لـــــيس لـــــي عنـــــه يـــــا ابـــــن وُدِّي ســـــلوة

وارتشـــــفه علـــــى ســـــباط نشـــــاطٍ منشـــــدًا مـــــن أشـــــعار قـــــيسٍ وعـــــروة

وانتهـــــز فرصـــــةً مـــــن الـــــدَّهر واصـــــحب صـــــفوةً قـــــد جلـــــت مـــــن العـــــيش صـــــفوة

راقهـــا الشَّـــاي حيـــث راق صـــفاءً وهـــــزارُ الأفـــــراح ردَّد شـــــدوه

فاجتلـــه علـــى رخـــيم المثـــاني فـــي ريـــاضٍ أبـــدى بهـــا الزهـــر زهـــوه

منـــه نـــوعٌ زبرجـــديٌّ إذا مـــا لاح فـــي الكـــأس شـــمت مـــاءً وجـــذوه

نـــمّ عـــن عنبـــر بـــه وعبيـــر بشـــذاه دعـــا الـــورى خيـــر دعـــوة

وحبـــا الصـــب ورادات التَّهـــاني مـــن حبيـــبٍ رثـــى لـــه بعـــد جفـــوة

ذاك أعلـــى أنواعـــه عنـــد قـــوم مـــا ثنـــتهم عـــن خلـــوة الـــودِّ جلـــوة

ذاك أســـنى الأســـباب فـــي جمـــع شـــمل ال أُنـــس يـــا ذا الوفـــا وأوثـــق عـــروة

ذاك عـــين الإكســـير معنًـــى يُعيـــد القـــبضَ بـــ ســـطًا والـــذُّلَّ عِـــزًّا وســـطوة

درهـــمٌ منـــه ردّ قنطـــار هـــمٍّ فرحًـــا قـــد جـــلا عـــن القلـــب شـــجوه

فتعاطـــاه كـــلُّ حـــرٍّ رقيـــق كـــان للنَّـــاس فيـــه أحســـن أُســـوة

ينجلـــي فـــي الكـــؤوس شـــبه نضـــار فـــي لُجَـــينٍ يـــولي الفتـــى أي ثـــروة

أو كشـــمسٍ قـــد أشـــرقت فـــي بـــدور مـــذ تجلـــت جلـــت دجـــى كـــل غفـــوة

يـــا لـــه مـــن زمـــرّدٍ عـــاد تِبْـــرًا فاكتســـى الكـــاس منـــه أحســـن كســـوة

كللتـــــه فرائـــــدٌ مـــــن جُمـــــانٍ ربمـــا خالهـــا أخـــو الجهـــل رغـــوة

كـــم لـــه فـــي الـــورى منـــافع لكـــن لـــم يشـــنها إثـــمٌ مشـــوبٌ بقســـوة

يُـــبهج الـــنَّفس يُنـــتج الأنـــس حـــالًا يُـــورث الهضـــم يطـــرد الهـــمَّ عنـــوة

ولـــذا قيـــل مُنْيَـــة الـــنَّفس فيـــه ينبغـــي شـــربه مســـاءً وغـــدوة

«وَهْرَان» الإسلاميَّة ـ تحت الاحتلال الفرنسي:

مَعْرَكَةُ «خَنْق النِّطَاحْ»

ـ 1832م ـ

▪ يقول الشَّيخ المؤرِّخ المهدي البُوعَبْدَلِّي رَحِمَهُ اللهُ في محاضرةٍ له بِعُنْوَان «**خَنْق النِّطَاحْ**»:

«كانت «وهران» عند الاحتلال الفرنسي تنقسم إلى قسمين:

القسم الأوَّل: المدينة القديمة، أي: حي «جامع الباشا» الحالي، و«الجامع الأعظم» القديم الَّذي هُدم وبُني على أنقاضه «المستشفى العسكري»، وما زال يحتفظ بمنارته، وكان هذا الحي يُدعى بِـ«حي البحريَّة»، و«حي الشَّيخ الهوَّاري»، حيث يُوجد ضريحه ومسجده أيضًا.

القسم الثَّاني: قريةٌ منفصلةٌ عن البلدة، حيث يوجد «المسجد الصَّغير» المنسوب للباي محمَّد بن عثمان، والَّذي يوجد فيه ضريحه، وكان مؤسِّس هذا المسجد الباي محمَّد بن عثمان ـ دفينه ـ فاتح «وهران» سنة 1206هـ، وعند تأسيسه كان يُطلَق اسمه على المدرسة.

كانت هذه القرية تُعرف بقرية «خَنْق النِّطَاحْ»، وكان يفصل بينها وبين المدينة شعابٌ وحفيرٌ هائل، يشقُّها وادٍ صغير، يُسمَّى بِـ«عين ارْوِينَة»، وهذه الشِّعاب رُدمت فيما بعد وبُني عليها الحي الممتد الآن من ساحة «قصر البلديَّة» إلى «محطَّة السِّكة الحديديَّة»، وقد حوَّل الفرنسيُّون اسم «خَنْق النِّطَاحْ» إلى «قَرْقِنْطَة» (Kharguentah)، وما زالت بعض معالم البلدة تحمل هذا الاسم، كـ«سُوق الخُضر» و«المسرح» الموجودَين قرب «جامع الباشا»، وقد ورد ذكر «خَنْق النِّطَاحْ» في المعارك الأولى بين جيش الأمير عبد القادر والجيش الفرنسي، وتحيَّر بعض المؤرِّخين في موقع هذه المعارك، حيث إنَّ «خَنْق النِّطَاحْ» كان يُطلق على حيٍّ من أحياء وهران .... والحقيقة أنَّ «خَنْق النِّطَاحْ» لم يكن يُطلق على الحيِّ فحسب، بل كان يطلق أيضًا على الوادي الَّذي يشقُّ الشِّعاب

الفاصلة بينه وبين المدينة، نجد في كتاب المَزَارِي «**طلوع سعد السُّعود**» في أخبار وهران ومخزنها الأسود المخطوط بِـ«مكتبة متحف وهران»، وصفًا للمعركة الَّتي شنَّها السَّيِّد محيي الدِّين ـ والد الأمير عبد القادر ـ على الفرنسيِّين إثر استسلام «باي وهران» حسن، والفوضى الَّتي عمَّت الولاية.

قال: «ولمَّا ثارت نيران الفتن قام لإطفائها السَّيِّد محيي الدِّين بإعانة الشَّيخ عبد القادر بن زيَّان ...»، إلى أن قال: «ولمَّا قربوا من «وهران» خرج الجيش الفرنسي لهم، فكان لقاؤهما بِوادي «خَنْق النِّطَاحْ»».

إنَّ المعركة الأولى الَّتي وقعت بِـ«خَنْق النِّطَاحْ» كما ذكرها المؤرِّخ كانت في: 7 أو 17 أفريل 1832م[1]، تحت قيادة السَّيِّد محيي الدِّين، وتلميذه الشَّيخ عبد القادر بن زيَّان، الَّذي كان مكلَّفًا بحراسة حركات الجيش الفرنسي بِـ«وهران» .....[2]

وبعد ثلاثة أشهرٍ وقعت معركةٌ ثانية، بقيادة السَّيِّد محيي الدِّين بنفسِ «خَنْق النِّطَاحْ»، وفي هذه المعركة ظهرت بسالة الأمير، ولفتت الأنظار إليه، وكانت من الأسباب الَّتي سهَّلت لوالده التَّخلِّي عن الحكم، وتقديمه مكانه .....[3]

وفي هذه المعركة ظهرت لأوَّل مرَّةٍ شخصيَّة الأمير عبد القادر، فرمقته العيون ولفت الأنظار بشجاعته الخارقة للعادة، إذ طُعِن فرسه وأُطلق عليه النار فلم يتزعزع، بل ثبت في مكانه مدافعًا إلى أن أتاه رفاقه بفرسٍ آخر، ولفت الأنظار أيضًا باختطاف ابن أخيه محمَّد السَّعيد الَّذي استُشهد في المعركة وعمره (15) سنة، اختطفه من صفوف العدوّ. وإلى هذا يشير الأمير في بعض قصائده .....» اهـ[4].

---

(1) موافق: 1247هـ.

(2) حذف اختصارًا.

(3) حذف اختصارًا.

(4) «تاريخ المدن»، ضمن «الأعمال الكاملة للشَّيخ المهدي البُوعَبْدَلِّي»، جمع وإعداد عبد الرَّحمن دويب،

▪ قلتُ:

طُبع كتاب «طلوع سعد السُّعود في أخبار وهران» للآغا بن عودة المَزَارِي، بتحقيق الدكتور يحيى بوعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، في دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م. ونصُّ واقعة معركة «خَنْق النِّطَاحْ» الأولى ومعركة «بُرْج رأس العَيْن»[1] ومعركة «خَنْق النِّطَاحْ» الثَّانية[2] =في (2/ 96ـ 103) منهُ.

وقال: «**وإلى هذه الوقائع أشار الأمير في قصيدته الواويَّة الَّتي من بحر الطَّويل** ... ». وساقها (2/ 102ـ 103). إلى أن قال: «**إلى آخر القصيدة، وانظرها إن شئتَ في «عقد الأجياد»**[3] **وغيره** ... » إلخ.

▪ قلتُ:

وانظرها في «**تحفة الزَّائر في مآثر الأمير عبد القادر**» لمحمَّد باشا بن الأمير عبد القادر (1/ 92ـ 96)، ط. الإسكندرية، 1903م، وفي «**ديوان الأمير عبد القادر**»، تحقيق الدُّكتور ممدوح حقِّي (ص28ـ 36). ط. دار اليقظة العربيَّة.

ومن أبياتها:

ألـــم تـــرَ فـــي خَنْـــقِ النِّطَـــاحِ نطاحنـــا ... غـــداة التقينـــا؛ كـــم شـــجاعٍ لهـــا لَـــوَى

وكـــــم هامـــــةٍ، ذاك النهـــــار، قـــــددتها ... بحـــدِّ حُسَـــامِي، والقنـــا؛ طعنـــه شَـــوَى

وأشـــــقر تحتـــــي، كلمتـــــه رمـــــاحهم ... مـــرارًا، ولـــم يَشْـــكُ الجَـــوَى، بـــل ومـــا الْتَـــوَى

المجلَّد 2، (ص611ـ 614).

(1) في 3 و4 و5 و6 ماي 1832م، موافق: ذي الحجَّة 1247هـ.

(2) في 31 أوت 1832م، موافق: 4 ربيع الثَّاني 1248هـ.

(3) عقد الأجياد في الصَّافنات الجياد، لمحمَّد باشا بن الأمير عبد القادر.

بيـــومٍ؛ قضـــا نحبًـــا أخـــي فـــارتقى إلـــى جنـــانٍ لـــه، فيهـــا نبـــيُّ الرِّضَـــا أَوَى

فمـــا ارتـــدَّ مِـــن وقـــع السِّـــهام عنانًـــه إلـــى ان أتـــاه الفـــوز، يُـــرْغِمُ مـــن عَـــوَى

ومـــن بيـــنهم، حملتُـــهُ، حـــين قـــد قضـــى ومـــن رميـــةٍ كـــالنَّجم، مـــن أفقـــه هَـــوَى

ويـــومَ قضـــى تحتـــي جـــوادٌ برميـــةٍ وبـــي أحـــدقوا، لـــولا أولـــو البـــأس والقـــوَى

وأســـيافنا؛ قـــد جـــرِّدت مـــن جفونهـــا وردَّت إليهـــا، بعـــد وردٍ، لقـــد رَوَى

ويقول:

شـــددتُ علـــيهم شـــدَّةً هاشـــمية وقـــد وردوا ورد المنايـــا، علـــى الغَـــوَى

نزلـــتُ بِـــ«بُـــرْجِ العَـــيْنِ» نزلـــة ضـــيغم فـــزادوا بهـــا حزنًـــا، وعمَّهـــم الجَـــوَى

ومـــا زلـــتُ أرمـــيهم بكـــلِّ مهنَّـــدٍ وكـــلِّ جـــوادٍ، همُّـــهُ الكَـــرُّ، لا الثَّـــوَى

وذا دأبنـــا، فيـــه الحيـــاة لـــدينا وروح جهـــادٍ، بعـــدما غُصْـــنُهُ ذَوَى

ويقول:

وإنَّـــا بنـــو الحـــرب العـــوان بهـــا لنـــا ســـرورٌ، إذا قامـــت، وشَـــانِئُنَا عَـــوَى

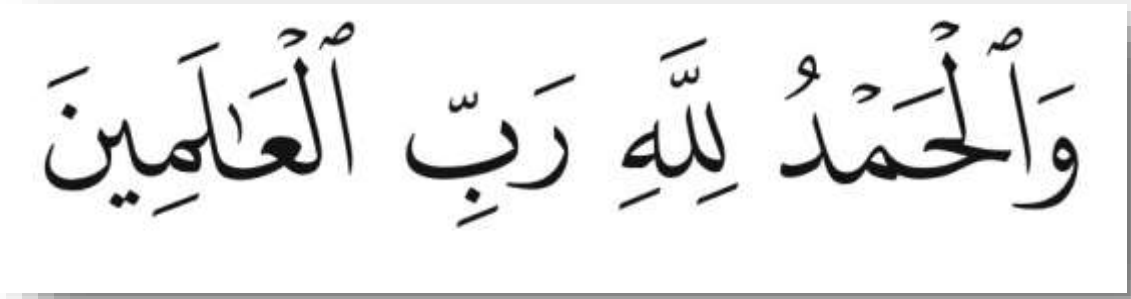
وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ